الخـــداع البصـــري للمسؤوليـــن فـــي الزيـــارات الميـدانيـــة..!

ص. 04

بسم الله الرحمن الرحيم

هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الاثنين 27 جمادى الأولى 03 جمادى الثانية 1434 هـ /08 - 14 أفريل 2013 العدد: 647 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

محاضـــرة

الجاليـــة الجزائريـــة في بلاد الشام

ص. 21

على بصيرة

بقلم: الأستاذ الدكتور عبد الرزاق قسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المسلمـــون في فرنســا:

من إسلام السوق إلى سوق الإسلام

إنّ هذه المشاهد الجميلة، التي ما فتئ المسلمون في الغرب عمومًا، وفي فرنسا على الخصوص، يقدمونها من خلال الملتقيات التي ينظمونها، بفسيفسائية عرقية متميِّزة، وبتنظيم اجتماعي لافت، وبمستوى علمي راقٍ، إنّ هذه المشاهد المتنقلة من منطقة إلى أخرى، لمما يثير الإعجاب والخوف معًا.

فالتنافسية الشريفة بين المنظمات الإسلامية والحضور العلمي العالي المستوى، والتمثيل الجغرافي الإسلامي مشرقًا ومغربًا لمما يطبع هذه الملتقيات بطابع خاص، فإذا أضفنا إلى كلّ ذلك مشاركة كلّ الأجيال ولا سيما الشباب، وحسن التنظيم الذي خلا من أيَّة شائبة عنف، والحماس الذي ساد عشرات الآلاف من الحاضرين والحاضرات، أدركنا أيَّ مستوى من الوعي وصله المسلمون في المهجر، وزادنا اطمئنانًا على مستقبل الإسلام في الغرب.

فاللقاء الإسلامي الهام لمسلمي الشمال الذي حضرناه في مدينة «ليل» في بداية شهر مارس 2013م، والذي حضره الآلاف من مسلمي الشمال، قد أعطى للفرنسيين المتعايشين مع المسلمين، ولوسائل الإعلام الحاضرة، أعطاهم الانطباع بأنّ جيلاً جديدًا من المسلمين مختلف تمامًا عن الجيل الذي صنعه الاستعمار، والمتّسم بالجهل، والتخلف، وعدم الوعي بعقيدته. إنّ الجيل الإسلامي الجديد، قد أصبح جيلا متحضرًا، ديدنه العلم في شموليته، والتّقدم بمختلف وسائله، رابطًا المسجد بالمعهد، والجامعة، والكلّ بالحياة. وإنّ خير دليل يقدمه المسلمون في الشمال عن كلّ هذه الخصائص الحضارية هو تصنيف ثانويتهم الخاصة «ثانوية ابن رشد» كأوّل ثانوية من حيث المستوى العلمي، في القطر الفرنسي كلّه، متقدمة على ثانويات فرنسية عريقة، كثانوية «هنري4» «Henri4» وثانوية «لويس لو قران» «Louis le grand» وغيرهما.

يتبع ص.02

لا بـــواكـــي لـهـــم

مسلمو بورما.. الإبادة أمام مرأى العالم..!

ص. 04

تخطيـــط غربـــي، أم مـــس شيـطـانـــي؟!

لا تنقطع محاولات الغرب لتحويل العالم العربي إلى مكب للنفايات الثقافية والأخلاقية والصناعية، ولعل أحدث هذه المحاولات هي تصدير تلك البضاعة الفاسدة النتنة الممقوتة المتمثلة في جعل التعري وسيلة من وسائل النضال من أجل حقوق المرأة! ص.03

تجديـــد الفكـــر الإسلامـــي مـن موقـــع الـــذات.

ص. 06

مراجعة نقدية لبعض مقاصد الخطـــاب الحداثي العربـــي.

ص. 22

الرقابـــة المصرفيـــة بيـن البنـــوك الإسلاميـــة والبنوك التقليديـــة

ص. 05

إلى متى السكوت عن الاعتداءات الصهيونية على بيت المقدس؟

ص. 03

الآثار العلمية للشيخ المصلح الجيلالي الفارسي

إنّ الشيخ الجيلالي الفارسي من جملة آلاف العلماء والمصلحين الذين عملوا على إصلاح أوطانهـــم والنهوض بها، وتوجيه أبنائها وتخليصهم من رواسب التحجر والتخلف، والدليل على ذلك آثاره العلمية ومقالاته الإصلاحية الهادفة، التي كان ينشرها في شتى صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين... ص. 11

إلى من يهمه الأمر

تمر الجزائر هذه الأيام بمرحلة حرجة، بسبب الركود الذي تشهده الساحة السياسية، واللاشرعية التي عمت جميع القطاعات الرسمية والشعبية، والانحلال الأخلاقي والميوعة المستشرية في المجتمع، واتساع رقعة النهب والفساد المالي والإقتصادي، وتنامي اليأس في أوساط الشعب. وهذه المعطيات إن لم ترشح الجزائر إلى الانفجار - لا قدر الله - فإنها تبشر بدوام الفوضى واللااستقرار.

بقلم: التهامي مجوري

صحيح أن البلاد في بحبوحة مالية لم تشهد مثلها من قبل، تساعدها في التغلب على بعض الصعوبات التي تعاني منها الدول عادة. فتوزع السلطة على فئات الشعب مساعدات هنا وهناك، ومشاريع مجتزأة في بعض القطاعات وتخفيضات في بعض المستهلكات، ولكن حياة المجتمعات ليست مجرد حاجة مادية وكفى، وإنما هي حاجات مادية ومعنوية؛ بل وشبكة علاقات اجتماعية تشعر الفرد بانتمائه إلى المجموعة البشرية بجميع أبعادها الحضارية: الاجتماعية، الثقافية، الدينية والسياسية، وهذا الشعور الذي لا وجود له في أوساط المجتمع الجزائري بكل أسف، لم يدفع بالسلطة ولا بغيرهما من الطبقة السياسية والمجتمع المدني إلى الاهتمام به، ولا بإعطائه حقه من الدراسة والتحليل والتفهم، ولا بكيفية التعامل معه. كل ما استطاع القوم فعله، هو صرف الأنظار إلى معالجة مطالب اجتماعية تمثل عند الشعوب التي تحترم نفسها آخر ما يفكر فيه على أهميته، بما يوزع من عطايا هنا وهناك، رغم أن حاجة الإنسان ليست منحصرة في ذلك، باعتباره إنسان بقيمه لا بأشيائه ومتلكاته، وماذا يفيد الشبع والغنى والعمل، والناس يشعرون بالظلم والجهل والاستبداد، وبالحاجة المزمنة إلى كل شيء، من أبسط الأشياء إلى أعقدها.

لا شك أن الفقر أخ الكفر، وأن الجوع لا يطاق، وأن البطالة من أسوأ الآفات التي يمكن أن تصيب المواطن في مسار حياته باعتبارها معطل للطاقة، ولكن مع ذلك فإن هذه الأمور ليست كل شيء؛ فهي ثانوية عندما يحس الإنسان أن لا مستقبل له، أو أن جهده ينهب، ويعيش في بلد لا يشعر فيه بالاطمئنان ولا بفهم ما يجري فيه لا سيما فيما يتعلق به كمواطن عليه واجبات وله حقوق.

إن المجتمع الجزائري الذي يعاني الحاجة والفاقة واللااستقرار الاجتماعي والذي هو مرشح للإهتزاز بسبب ما فيه من اختلالات اجتماعية واقتصادية وسياسية، لا يحق له أن يستمر في هذا النهج، ولا يجوز له خوض تجربة كالتي تمر بها ليبيا وسوريا وحتى مصر؛ لأنها تملك من التجارب ما يمنعها من دخول التجربة على النهج الذي سار عليه غيرها من الشعوب الأخرى، لأن الجزائر تملك من المؤهلات لتطوير آلياتها الإدارية والسياسية ما ليس لغيرها.

- الرصيد التاريخي: حيث تتربع الجزائر على قدر لا باس به من التجربة التاريخية التي تساعدها في التغلب على الواقع، فقد شهدت استعمارا استيطانيا لمدة 132 سنة واستطاعت التخلص منه، وخاضت معركة سياسية وعسكرية لمدة سبع سنوات في مواجهة أعتى قوة في زمنها، وفازت فيها على العدو، وشعب بهذه المكانة قادر على إعادة التجربة وأفضل، إذا خلصت النوايا وصدقت مثلما خلصت في الماضي وصدقت.

- الرصيد الشبابي العلمي: بما تملك من طاقات علمية وشبابية هائلة، قادرة على إحداث النقلة النوعية على جميع الأصعدة، ولكنها بكل أسف، تسرّب عدد كبير منها إلى أمريكا وأوروبا وكندا، وإلى حيث وجد الشباب قدرهم ومكانتهم اللائقة بهم، هذه الطاقات العلمية والشبابية التي شرعت في حزم أمتعتها سنة 1992/1991، لتدخل البلاد للمساهمة في التنمية، فقد صرفت اليوم النظر عن دخول البلاد، ومع ذلك تعد هذه الطاقة رصيدا هاما للبلاد عندما يجدّ الجدّ وكما يقول المثل الشعبي «تصيّح وتعرف أمّاتها»، وهو في نفس الوقت رصيد لا يسمح للجزائر بالخطأ الذي ارتكبته سنة 1992 عندما نسقت أول تجربة ديمقراطية في البلاد.

- الثروات الطبيعية: حيث أن الجزائر رغم عملية التخريب المنهجة، لا زالت تعتبر من البلاد المهمة في مكانتها الجيوستراتيجية، وبما تملك من ثروات طبيعية هامة؛ بل هي مرشحة للرّيادة في مجالات الطاقات الجديدة بعد نفاذ الطاقات التقليدية، ومساحاتها الزراعية أكبر، وهذا القدر الذي تفتقر إليه الكثير من دول العالم، لا يسمح للجزائر في أن تدخل النفق الذي دخلته ليبيا وسوريا، اللهم إلا إذا كانت السلطة والطبقة السياسية وغيرها من فئات المجتمع المدني، يريدون إقحامنا في ميادين لا نريد الدخول فيها.

- العشرية الحمراء: وإذا تجاوزنا جميع المؤهلات التي لا تسمح لنا بخوض المغامرة بالصورة التي ذكرت، فإنه لا يجوز لنا أن نتجاوز تجربة العشرية الحمراء، التي حصدت أكثر مائتي ألف روح جزائرية، وأتلفت ملايير الدولارات، وفي النهاية عاد جميع الجزائريين إلى ديارهم، لا غالب بينهم ولا مغلوب، وإنما وجدوا أنفسهم في بلاد مغلوبة على أمرها، لا تخرج من مشكلة حتى تهيء الأسباب للدخول في أخرى.

أكتفي بهذه العناصر باعتبارها الأكثر أهمية في منعنا من دخول مغامرة جديدة، رغم أن هناك أسباب أخرى لها مكانتها أيضا، ولكنها أقل أهمية في الترتيب.

إن عملية التغيير قادمة لا محالة؛ لأن الوضع العام الذي يشهده العالم، يسير في اتجاه تغيير النظم والذهنيات، ومن المحال أن تبقى الجزائر خارج الدائرة الكونية، والتغيير عندما لا يجد طرقه السلسلة والسهلة، ورجاله القادرون على الإفادة منه، بوضع خطط التنمية والتربية والتوجيه والإنماء السياسي والإقتصادي، فإنه يشق طريقه كيفما اتفق، مثل السيول الجارفة تماما، السيل المائي إذا لم يجد قنوات تصرفه إلى حيث يفيد أو يخزن في السدود فإنه يحطم كل بقعة يمر بها.

مقامات البصائر

ويل للوطن من شيطانة الفيمن

بقلم: د. عبد الحفيظ بورديم
bourdime2013@gmail.com

(صونيا) أنثى من جنس البشر ظنّت أنها أبدعت فكشفت عن سوأتها وتعرّت، ونشرت في صفحتها فساد فطرتها، وهي تحسب أنّها أخذت حريتها وسبقت من قبلها في الثأر من أبيها وجدّها بل وفي الاعتراض على ذكرها وأخيها، بعدما أوحى لها شيطانها أنّ العري هو قضيتها.

وما كنت لأخوض في شأنها بعدما تبيّن لي ولها أنّ الحيوانات وحدها تنكشف عوراتها، حاشا الأرقى منها فإنّها تتستّر بريشها أو شعرها، وعاودت النظر في خلقها فما وجدت إلاّ الأدنى منها انسلخت من سترها مثل الديدان الهامّة والأفاعي السامّة.

لها إن شاءت أن تكون مثل الحيوانات، فما بالها تأبى الإقامة في الاسطبلات؟ ليتها تجرّب البقاء سويعات بينها لترى نفورها منها، فقد حُدّثنا أنّ في الأسود غيرة وأنّ إناثها لا تتعرّى، ولقد علمنا أنّ الحمير لا تعرف النخوة وأنّ في إنائها شقوة، ولو عقلت (صونيا) لارتدّت أتانا وفي طبّ التجميل قدرة وإمكانا ليمسخ الإنسان ويحيله حيوانا.

أعتذر لكلّ أنثى من البشر فإنّ تلك ليست منهنّ ولا من البقر، لقد كان الستر في النساء ميزا للحرائر من الإماء، فما علمنا أميرة تعرّت ولا علمنا حرّة زنت، ومن قبل دخلت (بلقيس) الصرح متسترة، فكشفت عن ساقيها لما حسبته لجّة، وما كشفت إلا لأنها تسترت، وما تستّرت إلاّ لأنها مليكة في قومها وحرّة في نفسها، ثمّ كانت بعدها (هند) التي أنكرت أن تكون الحرّة قد زنت.

فاستقام عندنا أنّ الجلباب للحرائر حتى لا يعرفن فيؤذين، وأنّ السفور للإماء ولا ينبغي -إن أردن تعفّفا- أن يكرهن، واستقام عند النصارى أنّ (مريم) سيدة المحصنات قد أرسلت جلبابها زينة للعفيفات، واستقام في ملاحم اليونان أنّ (بينيلوب) نقضت غزلها لمّا انتظرت بعلها، واستقام عند الأمريكان أنّ رئيسهم (كلينتون) لا ينبغي أن يحكمهم لمّا اتّهموه بالنظر إلى كاتبة منهم.

والآن تملّكني الخوف على الوطن بعد أن نهقت أتُن الفيمن، فأرسلت فيروساتها في الفضاء ونثرت جراثيمها في الهواء، حتى خشيت أن تلوّث الأجْم في السماء والعذب الزلال من الماء، ويومئذ لا صريخ لنا من جرثومتها ولا منقذ لنا من مصيبتها.

هذا أوان العفاف فتستّري يا بنت الأشراف، ولا يغرّنك اسم (صونيا) فإنّما هي شيطانة وهي حيّة، كمثل أخواتها بعد أن رضعت من الماسونية حليبها فخرجت من رحم العهر مسخا ومن نطفة إبليس نسخا.

تتمة ص 01

المسلمون في فرنسا:

من إسلام السوق إلى سوق الإسلام

إنّ هذا التصنيف الذي رتبته وزارة التربية الفرنسية بالذات ليؤكد المستوى العلمي والتربوي الذي حققته ثانوية «ليل الإسلامية» الخاصة التي تشرف عليها منظمة مسلمي الشمال الفرنسي.

ولقد انعكس كلّ هذا على المستوى العلمي الذي تحلّى به الملتقى، فكان عاليًا، سواء من حيث نوعية الحضور أو من حيث المشاركين من العلماء المحاضرين.

وجاء الملتقى الثلاثون لاتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا أيام -29 30-31 مارس 2013م، والذي ينعقد كلّ سنة في مدينة «لوبورجي Le Bourget» الباريسية فصنع الحدث بكثافة ونوعية الحاضرين إذ فاق عددهم «المئة وستين ألفًا» جمع بين النشاط العلمي والإعلامي، والاقتصادي، فكان نموذجًا لإسلام السوق، وللسوق الإسلامي. فعلى مدار أربعة أيام عاش المسلمون من كلّ أنحاء فرنسا عرسًا إسلاميًا شاملا، سادته الأخوة الإسلامية، وطبعه التسامح الاجتماعي وقدم للجميع صورة أخرى للقيّم الإنسانية السّامية كما عودتنا مدينة «ايستر Istres» الواقعة جنوب فرنسا، على تنظيم أيامها العلمية بمركزها الثقافي الإسلامي المزدهر، فنظمت يوم السابع من أفريل 2013م، ملتقى جعلت موضوعه «تجديد الخطاب الإسلامي المعاصر» دعت إليه كوكبة من العاملين في الحقل الإسلامي داخل فرنسا، وخارجها، شارك فيه من الجزائر، معالي الدكتور سعيد شيبان، وكاتب هذه السطور، وسينعقد بعد أيام، بكلّ من مدينة «ليل» من جديد، وبمدينة «مرسيليا» ملتقيان هامان.

فأمّا الأوّل، فتعقده الاتحادية الجزائرية لشمال فرنسا، بليل، بمناسبة يوم العلم وذلك يوم 14 أفريل 2013م، ودعت إليه هي الأخرى كوكبة من العاملين في الحقل الإسلامي داخل فرنسا وخارجها، أبرزهم علماء من الجزائر ومن الأزهر، ومن السعودية وغيرها.

وأمّا الملتقى الآخر فسينعقد إن شاء الله يوم 19 من مايو 2013م، بالمركز الإسلامي بمرسيليا، بمناسبة إطلاق مشروع إعدادية، وثانوية «ابن خلدون» الإسلامية الخاصة، ومن بين المدعوين إليه من الجزائر كاتب هذه السطور.

إنّ هذا الزخم المعرفي، وهذا الحراك الإسلامي الذي يطبع الحياة الإسلامية في فرنسا بالذات، لدليل على صحة التحوّل الذي طرأ على الحياة الإسلامية نحو الأفضل، مما يقدم صورة مشرفة عن الإسلام والمسلمين.

على أنّ كلّ هذا ينبغي أن لا يجعلنا ننسى كبريات المشاكل التي تعانيها الجالية الإسلامية في الغرب، وفي فرنسا بحيث يُعتقد أنّ المسلمين قد تجاوزوا كلّ معاناتهم، وأنّهم أصبحوا خير جالية أخرجت للناس.

إنّ الموضوعية والوعي بالذات يقتضيان التركيز أيضًا على جوانب القصور في الذات الإسلامية. فلا يزال الضياع يطبع حياة جانب كبير من جاليتنا، ولا تزال السجون الفرنسية غاصّة بالكثير من أبناء المسلمين.

ولكن ما نخشاه على الجالية الإسلامية في محاولتها للقضاء على الضياع، وكلّ أنواع الآفات الفتّاكة، هو الفرقة التي قد تتسلل إلى التنظيمات، باسم التّعصب أو الانتماء الضيّق، وكذلك حبّ الذات والاستئثار بالمناصب والمصالح إلى جانب بعض الغلّو في فهم الدين، مما قد يفسد على المسلمين عرسهم ويضيّع عليهم غرسهم، ونعوذ بالله من السلب بعد العطاء {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}النور63.

أ.د. عبد الرزاق قسوم

البصائر
لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
● المدير مسؤول النشر رئيس التحرير: أ. د. عبد الرزاق قسوم
● نائب رئيس التحرير: أ. كمال أبو سنة
● سكرتير التحرير: أ. عبد القادر قلاتي
● مستشار التحرير: أ. عبد الحميد عبدوس
● المدير التقني: أ. مصطفى كروش
التحرير: الهاتف والفاكس: 021.49.51.19
الإدارة: الهاتف والفاكس: 021.49.52.67 021.23.33.73
الإشهار: الوكالة الوطنية للنشر والإشهار / 01 شارع باستور - الجزائر.
الطباعة: مطبعة الوسط الجزائر.
رقم الحساب الجاري: 64-2985920
سعر العدد: 20.00دج
الاشتراك النصف السنوي: 500.00دج / الاشتراك السنوي: 1000.00دج
17، شارع محمد مربوش - حسين داي - الجزائر.
التوزيع: الوسط: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: 0550.60.00.38 ★★★ KDP 031.92.49.48 الشرق: ★★★ الغرب: 0550.57.54.55 «S.D.P.O

تخطيـــط غربـــي، أم مـــس شيطانـــي؟!

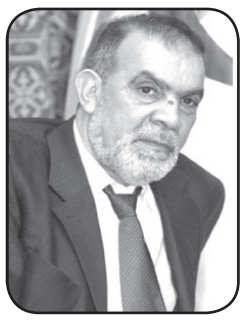

لا تنقطع محاولات الغرب لتحويل العالم العربي إلى مكب للنفايات الثقافية والأخلاقية والصناعية، ولعل أحدث هذه المحاولات هي تصدير تلك البضاعة الفاسدة النتنة الممقوتة المتمثلة في جعل التعري وسيلة من وسائل النضال من أجل حقوق المرأة!

بقلم: عبد الحميد عبدوس

في الأيام القليلة الماضية اهتم الإعلام الغربي بشكل لافت بأخبار بعض الشاذات الساقطات من النساء العربيات، اللواتي أعماهن التقليد ودفعهن الاغتراب الفكري والاستيلاب الحضاري إلى نشر صورهن عاريات على صفحات التواصل الاجتماعي على شبكة الأنترنت، على غرار ما تفعله عضوات حركة «فيمن» التي تأسست في أوكرانيا عام 2008، هذه الحركة التي دعت يوم الخميس الماضي 4 أفريل 2013 إلى تظاهرة عارية أمام سفارات تونس في العالم للتضامن مع شابة تونسية تدعى «أمينة تايلر» نشرت صورتها عارية الصدر بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للمرأة، وكتبت فوق صدرها عبارات بذيئة باللغة الإنجليزية، وزعم البعض أنها تعرضت للاعتقال بعد ظهور صورتها في «الفايسبوك»، ثم نشرت بعد ذلك أخبار عن وجودها بمستشفى للأمراض العقلية؟!

وفي الجزائر نشرت قبل بضعة أيام امرأة تسمي نفسها «صونيا» صورة لها مكشوفة الصدر، وكتبت على صدرها نفس العبارات البذيئة التي كتبتها التونسية «أمينة»، وأعلنت أنها أسست في الجزائر فرعا لحركة «فيمن»، وفي المغرب أطلقت صفحة فايسبوك سميت «فيمن مغربية» طلبت من النساء المغربيات إرسال صورهن عاريات لنشرها على الصفحة تضامنا مع الشابة التونسية.

وقبل ذلك قامت شابة مصرية تدعى «علياء المهدي» بالتظاهر عارية أمام السفارة المصرية بالسويد احتجاجا كما ادعت على الاستفتاء على الدستور المصري، الذي وصفته القوى العلمانية التغريبية بأنه «دستور إسلامي»، هذه الفتاة التي صرحت بأنها ملحدة ولا تؤمن بأي دين جريا على مذهب صديقها المدعو كريم عامر الذي فصل من جامعة الأزهر بعد إعلان إلحاده في كتابات منشورة، قامت بإهانة المصحف الشريف بطريقة متعمدة.

من جهتها اعتبرت إحدى مؤسسات حركة «فيمن» الأوكرانية التي شاركت في تظاهرة يوم الخميس الماضي ضد ما سمي «التطرف الإسلامي» أمام مسجد باريس: «إن مسجد باريس الكبير يعد رمزا للدين الإسلامي»، وتم بالمناسبة حرق العلم الذي كتبت عليه عبارة الشهادتين! وكان شعار حركة «فيمن» هو: «جسدي ضد الأسلمة».

من اللافت للانتباه أن تستقطب العاصمة الفرنسية باريس جموع العاريات للتظاهر ضد «التطرف الإسلامي»، في حين أن فرنسا هي أول بلد أوروبي بادر إلى منع الحجاب، وما زالت سلطات مطارات باريس وشرطة الحدود الفرنسية البرية والبحرية ترفض دخول المسلمات المنقبات، ولكنها تستقبل آلاف العراة الذين يجتمعون في بلدية «كاب داغد» الواقعة جنوب فرنسا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، المعروفة بكونها «عاصمة العراة في أوروبا».

ولا تخفي فرنسا في ظل الحكومات اليمينية أو اليسارية عداءها للإسلام، أو على الأصح للحركات الإسلامية التي دفعتها موجة الربيع العربي إلى صدارة المشهد السياسي في تونس ومصر على وجه الخصوص، وللتذكير فإن وزير الداخلية الفرنسي مانويل فالس أعلن جهرا ما تتبناه السلطات الفرنسية دون تصريح، عندما قال في شهر فيفري الماضي بعد اغتيال المناضل التونسي شكري بلعيد أن «فرنسا تفضل وصول القوى العلمانية إلى الحكم»، والأكثر من ذلك فإن الحكم الاشتراكي في فرنسا الذي تآكلت شعبيته في زمن قياسي يبدي عداء واستخفافا ليس بقيم الإسلام فحسب، ولكن بقيم كل الأديان السماوية والتشريعات الإلهية، وذلك بإقدامه على إباحة زواج المثليين مما أثار رفضا شعبيا واسعا في فرنسا لدخول قانون زواج المثليين حيز التنفيذ في شهر جوان القادم، هذا القانون الذي سبق للجمعية الوطنية الفرنسية (البرلمان) أن رفضته في سنة 2011 قبل وصول الاشتراكيين إلى الرئاسة وحصولهم على أغلبية مقاعد البرلمان.

التعري في الدول الغربية تحت الأنظمة العلمانية ليس ظاهرة جديدة، إذ وصل مسار الانحلال الأخلاقي في الغرب إلى ظهور معسكرات، ونوادي، وشواطئ للعراة منذ منتصف القرن العشرين، كما عرفت الحركات النسوية المطالبة بالمساواة وحقوق المرأة في المجالات السياسية والاجتماعية والجنسية ذروتها بعد ثورة الشباب في فرنسا في سنة 1968، ولكن الجديد والمقرف في الأمر هو تسارع حركة التقليد في المجتمعات العربية الإسلامية من طرف بعض النساء العربيات المنحرفات لسلوك بعض النساء الغربيات الكافرات الفاجرات، وتشجيع التيارات العلمانية في الغرب لهذا التوجه مع سعي الإعلام الصليبي الصهيوني الحاقد على الإسلام إلى تحويل تلك النماذج الساقطة المأزومة إلى بطلات ورائدات لحركة التقدم والنضال من أجل حقوق المرأة.

لاشك أن النساء اللواتي خلعن ثيابهن وجرأن على نشر صورهن عاريات، في مواقع إلكترونية مفتوحة ومتاحة لمئات الملايين من الزوار، كن قد خلعن الحياء قبل خلع الثياب، وصدق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- الذي قال: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذ لم تستح فاصنع ما شئت».

ولا يحتاج المرء إلى أن يمارس التنجيم حتى يدرك أن القاسم المشترك بين اللواتي اخترن النضال في المجتمعات العربية بالعري، على طريقة المنتسبات إلى حركة «فيمن» الأوكرانية، الفاقدة للعفة والكرامة، يعانين من فراغ روحي وفشل عاطفي أو دراسي أو أسري أو من هذه العوامل كلها، لأن عرض الجسد بهذه الطريقة الفاحشة إنما هو قبول بتحويله مع سبق الإصرار إلى بضاعة في سوق النخاسة، والانزلاق إلى مهاوي الرذيلة والفاحشة والابتذال، وذلك هو الهوان الحقيقي للمرأة الشريفة، وإهانة لكرامتها، وامتهان لخصوصيتها، ولا ينطوي ذلك على أدنى ذرة من البطولة أو التميز، وقديما قال الشاعر العربي: «من يهن يسهل الهوان عليه».

فاللباس ليس سجنا لجسد المرأة أو الرجل، أو تقييدا للحرية، بل هو عنوان الحضارة والرشد العقلي والأخلاقي، قال الله تبارك وتعالى في الآية 72 من سورة الأعراف: {يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ}، وكل الأديان السماوية والحضارات الإنسانية الراقية دعت إلى التستر والتأدب والاحتشام والتعفف، والإسلام أوجب على الرجل والمرأة ستر العورة.

بل إن المجتمعات الغربية التي عانت من الانحلال الخلقي بدأت تتراجع عن مخازي الإباحية، فقد قامت دولة أيسلندا في شمال أوروبا في سنة 2011 بإغلاق كافة نوادي العراة، واعتبر البرلمان الأيسلندي أن تلك النوادي تشكل «انتهاكا صارخا لكرامة المرأة».

وفي الولايات المتحدة الأمريكية اعتمدت مدينة سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا قانونا يمنع التعري في الشوارع والأماكن العامة، وقال رئيس البلدية: «هذا موضوع يتجاوز بكثير حرية التعبير، فقد تجاوز الناس الحدود كثيرا مع هذه النزعة للتعري».

والكارثة أنه في الوقت الذي بدأ الغرب يتراجع عن نزعة التعري ويدرك مضارها بدأت بعض النسوة المستلبات في عالمنا العربي الإسلامي يستوردن هذه النزعة الشيطانية المشينة بحجه حرية التعبير، وحرية التصرف في الجسد والدفاع عن حقوق المرأة، وفي ظل غياب الوازع الديني لابد من اعتماد الرادع القانوني للحفاظ على السلامة المعنوية والاستقامة الأخلاقية للمجتمع، ولكن منظمات الإلحاد والإفساد في الغرب تعتبر ردع أولائك الشاذات الخارجات عن الدين والقانون تكبيلا لحرية التعبير ومساسا بحقوق المرأة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

إلى متـــى السكـــوت عـــن الاعتـــداءات الصهيونيـــة على بيت المقـــدس؟

لازال الصهاينة يمعنون في إهانة المسلمين والمسيحيين في فلسطين عامة ومدينة القدس والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة بشكل خاص، وذلك بتصرفات قطعان المستوطنين الإجرامية في اقتحاماتهم اليومية للمسجد الأقصى تحت حماية الجيش والشرطة الصهيونية، وآخرها محاولة تبول صهيونية تحت شجرة زيتون في داخل المسجد الأقصى لولا قيام المرابطين الفلسطينيين بالهجوم عليهم بصيحات الله أكبر، فتدخلت الشرطة الصهيونية لحماية المستوطنين وأخرجتهم من المسجد الأقصى خوفا على حياتهم، وكذلك قيام مجموعة من المتطرفين الصهاينة بإحضار مجموعة من الحيوانات منها الماعز والحمير والخنازير إلى ساحة حائط البراق، وإدخال البعض منها لإحدى ساحات المسجد الأقصى، وتدخلت الشرطة الصهيونية لإخراج المتطرفين الصهاينة من المسجد الأقصى خوفا من أن تخرج الأمور عن سيطرتهم.

منعت الشرطة الصهيونية بالقدس أبناء القدس وأبناء فلسطين المغتصبة منذ عام 1948 ممن تقل أعمارهم عن 50 عاما من الصلاة في المسجد الأقصى فضلا عن منع أبناء الضفة والقطاع بشكل عام من الصلاة في المسجد الأقصى، كما منعت الشرطة الصهيونية المسيحيين من أبناء فلسطين من الاحتفال والصلاة في كنيسة القيامة بمناسبة عيد الفصح المجيد عندهم.

فإن كنا ولازلنا وسنظل نوجه نداءاتنا لإخواننا المسلمين في كل مكان لنجدة المسجد الأقصى وفلسطين من الاحتلال والإرهاب والجرائم الصهيونية، فإننا نوجه نداء للمسيحيين في كل أنحاء العالم لتخليص أقدس مقدساتهم من الصهاينة المجرمين الذين يرتكبون أفظع الجرائم ضد كل ما هو ليس بيهودي ويعتبرون ذلك تقربا إلى الله يأخذون عليه الأجر.

أقدس مقدسات المسيحيين هي كنيسة المهد في بيت لحم وكنيسة القيامة بالقدس واليهما يحج المسيحيون.

كذلك قامت مجموعة متطرفة من الصهاينة بكتابة شعارات مسيئة للسيد المسيح عليه السلام على بوابة دير الفرنسيسكان في القدس الشرقية.

هؤلاء المجرمون لا يوجد لديهم أي رادع لارتكاب أي جريمة ضد كل من هو ليس بيهودي، ولذلك نجد أن الله سبحانه وتعالى قال على لسانهم {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ}(آل عمران: 75). الأميون غير اليهود يحق لنا أموالهم وكل شيء يمتلكونه وحتى قتلهم. ثم يأتي بعد ذلك الرئيس الأمريكي ويعترف بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني، وأن اليهود يعيشون في فلسطين منذ آلاف السنين، ويطلب منا الاعتراف بيهودية الدولة العبرية مع ما يحمله لنا هذا الاعتراف من مآس ومصائب مثل إلغاء حق العودة للاجئين الذين يعيشون في بؤس شديد في مخيمات اللجوء في الشتات أو في غزة والضفة.

وتهجير حوالي مليون ونصف المليون فلسطيني ممن بقوا صامدين في بيوتهم وأراضيهم بعد اغتصاب فلسطين سنة 1948.

ومن السيطرة الكاملة على مدينة القدس ومنع المسلمين من دخول المسجد الأقصى المبارك والسيطرة عليه كما حصل مع المسجد الإبراهيمي الخليل، فإننا نعتبر هذه الأقوال -اللامسؤولة- من الرئيس الأمريكي بمثابة إعلان حرب علينا.

ثم يأتي إخواننا في القمة العربية الأخيرة بقرارات بخصوص القدس لا ترقى لمستوى ما يجري في المسجد الأقصى ومدينة القدس فيا ليتهم يطبقون ما أصدروه، فماذا فعلت لجنة القدس، وماذا فعلت منظمة التعاون الإسلامي، وماذا سيفعل صندوق القدس على أرض الواقع؟ فإننا نسمع جعجعة ولا نرى طحين واحذرهم جميعا من قول الله سبحانه وتعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}(الصف: 2/3).المقت هو شدة الغضب.

ها هو شهيد آخر يرتقي إلى السماء من أسرى فلسطين ألا وهو الشهيد اللواء ميسرة أبو حمدية البالغ من العمر 64 عام وله أربعة أبناء اعتقل عدة مرات، وتم إبعاده إلى الأردن، ثم عاد مع دخول السلطة الوطنية الفلسطينية إلى الضفة والقطاع، وآخر اعتقال له تم سنة 2002 وكان لا يشكو من أي مرض ومنذ عامين ظهر معه مرض السرطان في الحنجرة، ونتيجة للإهمال الطبي المتعمد من قبل الصهاينة في السجون والمعتقلات استشهد، وقد كان رحمه الله قد حكم عليه بالسجن المؤبد.

وقد بلغ عدد الأسرى الذين استشهدوا في السجون والمعتقلات الصهيونية حتى الآن 204 أسير منهم من استشهد تحت التعذيب وآخرهم الشهيد عرفات جرادات الذي استشهد في سجن مجدو قبل حوالي شهرين بعد اعتقال دام حوالي ثمانية أيام .

ومنهم من استشهد بسبب الإهمال الطبي، وآخرهم الشهيد ميسرة أبو حمدية.

ومنهم من استشهد نتيجة القتل المتعمد بعد اعتقاله مباشرة، ومنهم من استشهد نتيجة أطلاق النار على الأسرى وهم داخل السجون والمعتقلات أثناء الإضرابات والاشتباكات مع السجانين والشرطة الصهاينة.

ولقد رأيت أحد الأطفال وعمره حوالي 16 سنة وقد أصيب في إحدى المظاهرات، وبقي معنا في الزنزانة عدة شهور والرصاصة في ساقه دون أن يعالجوه.

وسجين آخر كان معي في الزنزانة كاد أن يموت لولا أننا أثرنا مشكلة على مستوى السجن كله، بعد ذلك أنزلوه إلى عيادة السجن وقد حملته بيدي لإخراجه من الزنزانة.

وكذلك قام الصهاينة بإزالة خراج من أحد الأسرى دون إعطائه أي مخدر.

وكان الممرضون الصهاينة لا يقدمون للأسرى سوى حبوب مسكنة للألم لكل الأمراض.

ويوجد تقصير في حق أسرانا البواسل فلسطينيا وعربيا وإسلاميا ودوليا، وتأكيدا على ذلك هناك تصريح للأخ نبيل شعث عضو اللجنة المركزية لحركة فتح لوكالة "معا" يقول فيه: إننا مقصرون بحق الأسرى والمبعدين ومهما قدمنا وعملنا من أجلهم .

وإننا نخوض مع هذا العدو المجرم معركة كسر إرادات، وكذلك أسرانا الأبطال يخوضون نفس المعركة في مقابر الأحياء الصهيونية وسوف ينتصرون في معركة الأمعاء الخاوية بإذن الله وسوف تبيض هذه السجون والمعتقلات بإذنه تعالى.

وليعلم الجميع أننا باقون مجاهدين وصابرين ومرابطين على هذه الأرض حتى ننال إحدى الحسنيين وحتى لو بقينا لوحدنا وسننفذ قول الله سبحانه وتعالى:{ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً} صدق الله العظيم (النساء: 84).

أخوكم الشيخ حسين عنبر

لا بواكي لهم

مسلمو بورما.. الابادة أمام مرأى العالم

بقلم: الأستاذ حسين لقرع

لم تكد الأقلية المسلمة في بورما تنعم بأيام قليلة من الهدوء حتى عادت مجدداً أعمالُ العنف والاضطهاد والتخريب والتهجير القسري، على أيدي غلاة البوذيين لتقض مضجعها وتنغص يومياتها وتحوِّل حياتها إلى جحيم.

وربما ليس من الدقة أن نتحدث عن عودة موجة العنف والمجازر إلى بورما ضد مسلميها، فهي متواصلة هناك منذ جوان 2012 إلى حد الساعة، أي منذ 10 أشهر كاملة ذاق خلالها المسلمون هناك كل أنواع الاضطهاد والتنكيل والمطاردات وتعرضوا لمجازر وحشية قام بها بوذيون متعصبون تحت سمع وبصر العالم، وبتواطؤ مفضوح من حكومتهم البوذية التي لم تكن تتدخل لوقف تلك المجازر إلا بين الفينة والأخرى لاسكات الانتقادات المتصاعدة من منظمة المؤتمر الإسلامي وكذا بعض المنظمات الحقوقية الدولية.

ولعل المتابع لما يجري هذه الأيام في مدينة «ميكتيلا» البورمية، يدرك ببساطة أنه إزاء موجة جديدة من المجازر وأعمال التطهير العرقي ضد مسلمي البلد، وليس أمام إضطرابات أو أعمال عنف متبادل بين طائفتين دينيتين كما يحاول الإعلام البورمي أن يصوّر الوضع بهدف التغطية على المجازر التي يتعرض لها المسلمون هناك.

الاضطرابات الطائفية تحدث عادة بين طائفتين متكافئتين أو متقاربتين عددياً تعيشان في نفس البلد، وهو الأمر الذي لا ينطبق على حالة بورما؛ حيث لا يشكّل المسلمون هناك أزيد من 5 بالمائة من السكان مقابل 85 بالمائة من البوذيين، فكيف يمكن توصيف ما يجري بأعمال عنف طائفية متبادلة؟

وفي حدود معلوماتنا، فإن مسلمي بورما لم يقرروا بعد اللجوء إلى حمل السلاح لحماية أنفسهم برغم كا ما تعرضوا له من مجازر وأعمال قتل وتنكيل وتهجير من الديار منذ جوان الماضي إلى حد الساعة؛ إذ لا يزال هؤلاء يتمسكون بالحل السلمي لقضيتهم وبتدخل العالم، وبخاصة منظمات حقوق الانسان، لاجبار الحكومة البورمية على حمايتهم كما تنص القوانين الدولية، ووضع حد لمجازر المتعصبين البوذيين ضدهم وتمكينهم من العودة إلى قراهم وبيوتهم والعيش فيها آمنين مطمئنين بدل العيش في مخيمات لاجئين بدول الجوار تفتقر إلى أدنى المواصفات الإنسانية.

ولكن الواضح أن الحكومة البورمية لا تريد حماية مسلمي البلد، بل تريد صراحة إخراجهم من وطنهم «إلى أي بلد آخر يقبل بهم»، كما قال الرئيس البورمي سين ثين بوضوح منذ أشهر، بزعم أنهم «لاجئون بنغال» وليسوا مواطنين بورميين، ما يعني أن هذه المجازر تقع بتوطؤ واضح من الحكومة البوذية قصد إجبارهم على ترك البلد والتخلي نهائياً عن بيوتهم ومزارعهم وكل أملاكهم وتركها لقمة سائغة للبوذيين.

ولعل ما تقوم به الحكومة البورمية هذه الأيام من إنزال للجيش إلى الشوارع وفرض حالة الطوارىء في مدينة «ميكتيلا»، ليس سوى محاولة لامتصاص غضب العالم الذي بدأ الحرجُ ينتابه بسبب تمادي البوذيين في انتهاكاتهم الفظيعة لحقوق الانسان والتي وصلت إلى حد حرق المسلمين أحياء في مدينة «ميكتيلا» في الأيام القليلة الماضية، ما أحرجه أمام المسلمين الذين كالوا له تهمة السكوت على هذه المجازر واعتماد سياسة «الكيل بمكيالين» مقارنة برد فعله إزاء اضطرابات دارفور وغيرها، فكان لا بد أن يتدخل ويضغط لايقاف المجازر ضد مسلمي بورما إستجابة لضغوط منظمة المؤتمر الإسلامي.

ومع ذلك، يبقى الوضعُ هناك هشا وشديد الخطورة من جهة، وبائسا جدا من الناحية الانسانية، فـ«غارات» البوذيين على مساجد المسلمين ومساجدهم قد تُستأنف في أية لحظة كما علمتنا التجارب منذ جوان الماضي إلى الآن، بسبب تأكد البوذيين من عدم جدية العالم في متابعة أوضاع مسلمين بورما عكس ما يفعل في دارفور مثلاً، ما يشجعهم على مواصلة اعتداءاتهم ومطارداتهم للمسلمين دون أن يفكروا للحظة أنهم سيتعرضون إلى أيّ شكل من أشكال العقاب داخليا وخارجيا، فلا حكومتهم ستقبض على المجرمين منهم وكذا الرهبان المحرضين على العنف وتقدمهم للعدالة لينالوا ما يستحقونه من عقاب عادل، ولا المحكمة الجنائية الدولية ستصدر قرارات إيقاف دولية ضد هؤلاء وضد المسؤولين الحكوميين المتواطئين معهم كما فعلت مع الرئيس السوداني عمر البشير وكبار قادته، وحتى رؤساء قبائل «الجنجويد» العربية المتهمة بتشكيل ميليشيات والتورط في جرائم تطهير عرقي ضد زنوج دارفور.. مسلمو بورما لا بواكيَ لهم، ويمكن إضطهادُهم والتنكيل بهم وتهجير مئات الآلاف منهم وحرق من بقي منهم في سكناتهم ومساجدهم، دون أن تكون هناك أية عدالة داخلية أو دولية تتابع قاتليهم المجرمين والمسؤولين المتواطئين معهم، فهم ببساطة ليسوا أقلية يهودية أو مسيحية أو وثنية تعيش في بلد إسلامي متهم باضطهادها حتى يتم متابعة الجناة بكل صرامة.

إنه النفاق الدولي في أبشع صوره يتجلى مرة أخرى مع مسلمي بورما بعد أن عانى منه الفلسطينيون طيلة 64 سنة، وعانت منه أقليات مسلمة أخرى في العالم لعقود طويلة لاسيما وأن منظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم 58 بلداً أثبتت أنها محام فاشل لهذه القضايا العادلة، وأنها لا تحسن سوى اللجوء إلى الاستجداء والاستعطاف، عوض أن تستغل نقاط قوتها الكثيرة والمؤثرة في ممارسة ضغوط لانتزاع حقوق المسلمين أو حفظها، وحمل العالم على احترامهم وعدم استسهال التعرض لهم بأي شكل من أشكال الاضطهاد والأذى.

لكم الله مرة أخرى يا إخواننا في بورما، واصبروا، فسيجعل الله لكم مخرجاً.

القضية الفلسطينية إلى... أين؟!

الأستاذ: محمد الحسن أكيلال

«لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»

لقد كانت البداية بتفكيك إمبراطورية الرجل المريض ـ الدولة العثمانية ـ كانت البداية باحتلال بلادنا عام 1830 ...لأنها كانت بأسطولها البحري رأس الحربة لدولة الخلافة ...ثم كانت محاولة احتلال مصر من طرف نابليون بونابارت 1883..وتوالت المخططات الصليبية الغربية ومؤامراتها إلى أن نفذت إلى قلب جماهير شعوب منطقة المشرق العربي عبر حكام كانوا أشبه بسماسرة يتناحرون فيما بينهم على اقتسام الأراضي والعقارات والكراسي والقصور... لقد عمل هؤلاء على إشاعة الأفكار التي كان ظاهرها البراق المتوهج بالدعوة إلى التحرر من الحكم التركي «المحتل المستبد» ، وباطنها ـ وربما لا يدرون ـ أنهم يدعون بها إلى الدخول إلى استعمار صليبي غربي ما لبث أن احتل كل الوطن العربي ، وفصل الدولة التركية العتيدة التي كانت آخر قلاع الأمة الإسلامية المستهدفة عن الأمة .

لقد كان ما أرادوا ...واستعاد الصليبيون فلسطين التي حررها البطل الخالد « صلاح الدين الأيوبي»

وزرعوا فيها الدولة الصهيونية بقوة الحديد والنار، وأمدوها بكل أسباب القوة والجبروت ، وكل وسائل الحماية والرعاية للبقاء أطول مدة ممكنة خنجرا مسموما وسط خارطة الوطن العربي، تراقب فيه كل شاردة وواردة ، وكل حركة وسكون تبدومن أبسط مواطن فيه في كل جزء منه على اتساعه.

وكان لابد لحركية التاريخ من فرض منطقها ، وكان لابد لأول قطر محتل ـ الجزائر ـ من أن ينتفض أبناؤه ، ويقوموا بسلسلة من المعارك والثورات التي تراكمت تجاربها المريرة وأنصبت في ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 الخالدة التي أعادت لكل الأمة شعورها ووعيها ، بل روحها .

البعض لم يعط للثورة التحريرية الجزائرية حقها على أنها الديناميكية الحقيقية لحركية الشعوب المستعمرة في العالم، والشعوب العربية خاصة، مثلها مثل الدولة العثمانية التي عاملها مؤرخوا المشرق العربي على أنها دولة استعمارية ، وهذا طبعا مرده إلى الإخوة المسيحيين في المشرق العربي الذين انساقوا إلى الفكر الغربي الاستعماري بدافع ديني محض ناسين أومتناسين بأن المسيحية التي يحمل لواءها المستعمرون الغربيون ماهي إلا امتداد للحروب الصليبية الأولى التي بدأت منذ القرون الوسطى .

فترة الثمانينات من القرن الماضي كانت فترة إخماد للجذوة التحريرية في الوطن العربي ، وقد ساعد على ذلك دور الأنظمة الوطنية التي طال عليها الأمد في الحكم ، وفرضت عليها العلاقات الدولية والمبادلات التجارية مع الغرب الانجرار مع تيار النمط المعيشي الغربي الاستهلاكي وفتح الشهية الجشعة لنخبها الحاكمة وتنساق بدون أدنى شعور بالمسؤولية وراء الثراء الفاحش على حساب شعوبها المغلوبة على أمرها.

لقد استفادت الدولة الصهيونية من هذه المرحلة ، واستطاعت خلالها اختراق كل هذه الأنظمة بوسائل مختلفة ، وأنشأت لها في كثير من الأقطار العربية مواقع خلفية تدير فيها حركية المجتمعات والأنظمة كما تريد وتوجهها نحوالأهداف التي رسمت لها بدقة متناهية .

فترة زمنية قصيرة استطاعت خلالها الدولة الصهيونية أن تفتك من الجامعة العربية الاعتراف بها كدولة في المنطقة دون أي مقابل ، بل وافتكت من النظام العربي مبادرة السلام المضحكة التي بها ابتزت هذا النظام والسلطة الفلسطينية وقضت على كل أمل في إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية .

أما الشعوب العربية ـ ضحية هذه المرحلة وهذا الابتزاز ـ والتي أريد لها منذ اتفاقية « سايكس بيكو» أن تعيش في فقر مادي وغذائي ومعرفي، وحيا حياة القطعان الهائمة في الصحاري القاحلة بحثا عن الكلأ والماء ، فقد كرس لها زبانية وجلادون أغلبهم تكونوا في مدارس « السانسير» ومراكز تكوين المخابرات الأمريكية ، وتدربوا فيها على أبشع وسائل التنكيل والقهر المختلفة حتى تبقي الشعوب صامتة ساكنة تنتظر آجالها وأحتافها

هكذا أرادوا ...ولكن...لم ينتبهوا إلى شيء هام وخطيرا جدا وهوالذاكرة الجماعية لهذه الشعوب

والمعين الثقافي والحضاري الذي رضعت منه ، وشبت عليه... لم ينتبهوا إلى قطر صغير في هذا الوطن الكبير ، الذي عاش فيه شاعر صغير لم تدم حياته على الأرض أكثر من خمسة وعشرين سنة «أبوالقاسم الشابي رحمه الله « الذي قال ذات يوم في قصيدة عصماء له:

" إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر"

لم ينتبهوا إلى أن هذا القطر الصغير نفسه هوالذي ولد فيه العلامة» عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله» لم ينتبهوا إلى أن هذا القطر الصغير نفسه هوالذي أنجب المناضل النقابي «فرحات حشاد» الذي اغتالته اليد الحمراء للاستعمار الفرنسي.

لم ينتبهوا إلى هذا الشعب التونسي المغلوب على أمره وهويكظم غيضه لأكثر من خمسين سنة حتى ينفجر ويطرد عميل الموساد والمخابرات الأمريكية والغربية «زين العابثين».

كاتب جزائري hacen03@live.com

الرقابة المصرفية بين البنوك الإسلامية والبنوك التقليدية -01

مـــدخل

ازداد الاهتمام بالبنوك الإسلامية خلال السنوات الأخيرة، وكان الاهتمام متقاسما بين العالم الغربي والعالم العربي والإسلامي، إلا أن درجة الاهتمام التي أبداها الغرب للبنوك الإسلامية يظهر أنها كانت أقوى من تلك التي وجدت في العالم العبي والإسلامي، علما أن عددا من الدول العربية ما زالت ترفض استحداث أو استقبال صارف إسلامية في بلادها، ودول عربية أخرى ترفض استخدام مصطلح «إسلامي» كصفة للبنك الذي لا يتعامل بالفائدة أخذا وعطاء، بل أنها لا تمنحه أية معاملة تمييزية نظرا لخصوصيته، بل تتعامل معه تعاملها مع باقي البنوك التقليدية وبنفس المعايير.

والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن الباحث في الصيرفة الإسلامية هو: هل الرقابة المصرفية التي تخضع لها البنوك التقليدية هي ذاتها التي تطبق على البنوك الإسلامية، ثم هل هنالك ضرورة إلى أن نميز بين الرقابة على البنوك التقليدية والبنوك الإسلامية؟

من هذا المنطلق أو هذه الإشكالية سنحاول أن نؤسس بحثنا هذا، والذي نبحث من خلاله في ماهية الرقابة المصرفية على البنوك التقليدية ثم على البنوك الإسلامية، وذلك من خلال العناصر التالية:

أولا: مفهوم الرقابة المصرفية

إن المفهوم التقليدي للرقابة المصرفية انحصر على رقابة وضع المصرف في لحظة زمنية معينة من خلال دراسة القوائم المالية للمصارف سواء من خلال:

الرقابة الميدانية.

الرقابة المكتبية.

والتحقق من مدى التزامه بالضوابط الرقابية وسلامة نظامه المحاسبي ورقابتها الداخلية.

في مرحلة ثانية انتقل مفهوم الرقابة المصرفية للوقوف على التغيرات الحاصلة في الأوضاع المالية للمصارف، وذلك لكشف التدهور الحاصل فيها في وقت مبكر.

ثم تطور النشاط المصرفي وتطر معه مفهوم الرقابة المصرفية ليصل إلى مفهوم أوسع وهو نظام رقابة المخاطر والتي تعكس تطورا لأهداف الرقابة الميدانية.

وعليه فتهدف الرقابة المصرفية إلى تفادي وقوع الخطر المصرفي المتمثل في حدوث الخسائر أو التقلبات في القيمة السوقية للمؤسسات.

ومن المخاطر التي تستدعي الرقابة المصرفية نجد ما يلي:

مخاطر الائتمان: وهي تضمن درجة التقلب في الأرباح التي يمكن أن تنشأ لخسائر القروض والاستثمارات المتمثلة بالديون المعدومة.

مخاطر السوق: وهي تلك التي تنتج عن التغيرات المعاكسة أو التي ليست في صالح المصرف وذلك بالنسبة لأسعار السوق وتصنف مخاطر السوق عادة ضمن فئة مخاطر الضاربة حيث أن تحركات الأسعار ممكن ينتج عنها ربح أو خسارة بالنسبة للمصرف، ومخاطر السوق تتكون من العناصر التالية:

مخاطر سعر الصرف.

مخاطر سعر الفائدة.

مخاطر الأوراق المالية.

مخاطر أسعار السلع.

مخاطر التشغيل.

مخاطر السيولة.

مخاطر الصيرفة الالكترونية.

ثانيا: أنواع الرقابة المصرفية

إن عمليات الرقابة المصرفية تقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

الرقابة الداخلية: هي تلك العمليات التي يقوم بها البنك داخليا بغية ضبط نشاطه وتصحيح الأخطاء التي تقع في تكتشف في مختلف مصالحه، ويستعين في ذلك بـ:

الرقابة المحاسبية: من خلالها يتأكد البنك من تطبيق مختلف العمليات المحاسبية وفق ما تنص عليه التعليمات الصادرة من الجهات الإشرافية والرقابية الخارجية، وأيضا من إدارته العليا وفق السلطات الممنوحة للمصالح المعنية فيه بهذا المجال، خاصة ما يتعلق بالعمليات المحاسبية بشكل يسمح باستخراج القوائم المالية واتخاذ الإجراءات اللازمة بعد المطابقة بين الأرصدة.

الرقابة الإدارية: الهدف منها ترقية الأداء الوظيفي وضمان التنفيذ الأمثل لمختلف السياسات الإدارية وتحسين أساليب تكوين الموظفين.

الرقابة على عمليات الضبط الداخلي: هي تلك العمليات الروتينية الهادفة إلى الكشف المبكر عن عمليات الغش والأخطاء المختلفة ومحاولة تصحيحها في وقتها.

ثالثا: أجهزة الرقابة

تضطلع بعملية الرقابة المصرفية بمختلف أنواعها جهات متخصصة قد تكون من داخل البنك وقد تكون من خارجه.

-أجهزة الرقابة الداخلية للبنك: تتولى مصالح تقنية عليا تابعة لإدارة البنك مهمة الرقابة الداخلية، وتكون نتيجتها تقارير ترفع إلى مجلس إدارته أو مديره العام، وذلك حسب ما ينص عليه القانون الداخلي للبنك ليتم متابعة التوصيات والنتائج التي تصدر عنه تلك التقارير.

-أجهزة الرقابة الخارجية: وقد تكون هذه الأجهزة تابعة للبنك المركزي في العادة أو السلطة النقدية في البلد حسب ما تنص عليه قوانينها، وأيضا يمكن أن توكل لمحافظي الحسابات القانونيين المستقلين غير المرتبطين بإدارة البنك، والذين يتم اختيارهم من طرف الجمعية العامة للمساهمين.

رابعا: أدوات الرقابة المصرفية لدى البنوك المركزية

تنقسم لأدوات الرقابة المصرفية لدى البنوك المركزية إلى:

أدوات الرقابة على التسيير

أدوات الرقابة على التمويل

أدوات الرقابة على التسيير

الهدف من هذه الأدوات هو ضمان السير الحسن للعمل المصرفي عن طريق تقديم الوثائق والمعلومات للبنك المركزي، حيث أن البنوك تلتزم بتقديمها دوريا أو سنويا وفق ما تحدده تعليمات البنك المركزي، ومن هذه الوثائق والمعلومات ما يلي:

التقارير السنوية المتضمنة للحسابات الختامية.

التقارير الدورية (عادة ما تكون شهرية)، تبرز الوضع المحاسبي للبنك.

معلومات عن القروض الممنوحة.

بيانات عن الملاءة والسيولة والتدخل في السوق النقدي.

كل هذه المعلومات تمكن البنك المركزي من الاطلاع بدقة عن وضعية البنك المعني بالرقابة وغيره من البنوك الأخرى، بالإضافة إلى تمكنه من التدخل في الوقت اللازم لتفادي الأزمات المصرفية التي قد تعصف بالجهاز المصرفي في الدولة، وتزعزع ثقة المتعاملين معه.

ثم إن هذه المعلومات تسمح للبنك المركزي أيضا من حماية المودعين الذين أودعوا أموالهم في هذا البنك وذلك عن طريق المعاملات التالية:

معامل الملاءة.

نسبة رأس المال إلى الودائع.

معامل السيولة.

المعامل الأقصى لتوزيع المخاطر.

وعليه فهذه المعاملات يستعين بها البنك المركزي لضمان إعادة الودائع إلى أصحابها.

وأيضا تحقيق الأهداف التالية:

ضمان عدم إساءة البنوك لإدارة هذه الودائع.

ضمان عدم تعدي إدارات البنوك على الودائع.

ضمان استغلال الودائع الاستغلال الأمثل.

ضمان وفاء البنوك بالتزاماتها نحو أصحاب الودائع..

ضمان الاستقرار الاقتصادي.

السيطرة على عرض النقد.

أدوات الرقابة على التمويل: تهدف السياسات النقدية إلى ملائمة خلق وسائل الدفع أو الإصدار النقدي مع حاجيات التبادل دون المساس بالتوازنات الأساسية، حتى لا يتعثر النمو الاقتصادي الحقيقي بسبب نقص السيولة، أو بسبب فائض فيها، لذا تعتبر أدوات الرقابة على التمويل صمام الأمان لاقتصاد الدولة لضمان التوازن وذلك عن طريق التدخل المباشر لتأطير القروض، أو التدخل غير المباشر على توزيع القروض.

الرقابة المباشرة على التمويل: وتسمى أيضا تأطير القروض، وهي سياسة تتخذ عندما يلاحظ البنك المركزي وجود فوارق كبيرة بين حجم الإنتاج الوطني وحجم الكتلة النقدية المتداولة في السوق، أو عند التراجع الكبير في احتياطات الدولة من العملة الصعبة، ويهدف تأطير القروض التي تقدمها البنوك إلى تجميد نوعا معينا منها، أو تحديد سقوف ائتمانية معينة للتحكم في نموها خلال فترة من الزمن.

الرقابة غير المباشرة على التمويل: وهي تمس توزيع القروض، وتهدف إلى التحكم في السيولة المتاحة، ومن أدواتها ما يلي:

إعادة الخصم

الاحتياطي الإجباري

الاكتتاب في السندات العمومية

تنظيم أسعار الفائدة

خامسا: الرقابة المصرفية بين البنوك التقليدية وخصوصية البنوك الإسلامية

إن تميز البنوك الإسلامية عن غيرها من البنوك التقليدية من حيث خصوصيتها التي تقضي بعدم تعاملها بالفوائد الربوية لا يجعلها في منأى عن الالتزامات الواجبة عليها تجاه الجهاز المصرفي التقليدي الذي تعيش في ظله، وتمارس نشاطها تحت سلطته، من هذه الالتزامات نجد خضوعها الطوعي للرقابة المصرفية التي يجريها البنك المركزي على كافة البنوك والمؤسسات المالية التي تمارس نشاطها في إقليم الدولة مهما كان شكلها، عمومية كانت أم خاصة، إسلامية كانت أم تقليدية.

يتبع

الدكتور فارس مسدور
أستاذ بجامعة سعد دحلب بالبليدة
خبير في الإقتصاد الإسلامي

رؤيـــة

بقلم: الدكتور مسدور فارس
abouabdelbassetfares@yahoo.fr

الخداع البصري للمسئولين في الزيارات الميدانية...

كنا في الثمانينات نسمع بتهيئة الأماكن التي يزورها المسئول الكبير في بلادنا، فالصحراء تصبح خضراء، والطرق المليئة بالحفر تزفّت بزفت لا يصلح إلا لأسبوع، والبنايات الحكومية أو الشعبية ذات الواجهات السوداء تبيَّض بدهون تزول عند سقوط أول قطرة من الأمطار، والأحياء التي ليس بها فضاءات لأطفالنا تنقل لها فضاءات جاهزة قابلة للنقل والتفكيك، حتى فرق الحماية المدنية التي تستقبل المسئول بسياراتها الجميلة تنقل إلى كل مكان جديد يزوره، العجيب حتى المصفِّقين كانوا يتنقلون مع المسئول العظيم، إنها جزائر المعجزات يحدث فيها العجائب والغرائب...كان هذا في الثمانينات.

فكانت الثورة في 1988 قلنا لعل المسئول يتوب، وفي شعبه ينصهر ويذوب، وتنزل الرحمة وتطهّر ما قسى من قلوب، لكن الأمور لم تتغير، وبقيت رمة في عاداتها القديمة تُبيِّض وتُخضّر وتُخضِّر لزيارة المسئول بمجرد أن تسمع أو تخطر بقدومه، وقلنا لعل الأمور تتحسن في التسعينات، لكنها كانت سنوات النهب والنصب والخيانة العظمى، فظهر الجشع والحيوانية في أبشع صورهما على أغلب من ولي ورقّي في المناصب، وتفنّن كل واحد في أموال الأمة بالنهب واللعب، وانتهت برهن السيادة الوطنية مع أقذر مؤسسة عرفها القرن العشرين ألا وهي صندوق النقد الدولي، ورغم الضربات القوية التي تعرض لها اقتصادنا إلا أن المسئول بقي هو هو لم يتغير ولم يتطور، بل عقلية السبعينات والثمانينات هي الغالبة دائما إلى نهاية التسعينات.

ودخلنا القرن الواحد والعشرون والألفية الثالثة وكلنا أمل أن نتطور في تصرفاتنا وسياساتنا الاقتصادية خاصة على المستوى المحلي، إلا أن النهب تطور، فبعد أن كان الناس يختلسون بالملايين أصبحوا يختلسون بالمليارات، واستمرت سياسة التبييض والغش عند زيارة المسئول إلى الجماعات المحلية، والعجيب أنه يعلم بما يحصل ولا يقيل ولا يعاقب ولا يقول أية كلمة ولا يحرك ساكنا، بل يعيش معهم الكذبة تلو الكذبة، متناسيا أن هؤلاء الذين وثق فيهم يخدعونه، يخدعونه في الشجرة الخضراء التي غرست قبل ساعات، والدهن الذي زينت به الشوارع والذي لم يجف بعد، والزفت الذي يمشي عليه ما يزال ساخنا، ذلك أنهم وضعوه عند طلوع الفجر، حيث غلبتهم الأشغال، المهم الكل يكذب.

والأعجب والأغرب أن وزير الصحة يزور أحد المستشفيات في شهر مارس الأخير في منطقة الوسط، فيعطى المرضى أغطية ووسادات جديدة في القسم الذي خطط للوزير أن يزوره، وبمجرد أن يغادر تنزع منهم، يحصل هذا في 2013 ويستمر الوضع على ما هو عليه، فماذا تنتظر من مسئول يستغبيه ويضحك عليه كل من حوله، وكأنه غبيٌّ في وسط الأذكياء.

الأمر لا يتوقف عند هذا الحد، بل أن عند تدشين عمارات سكنية يختار للمسئول العظيم شقة نموذجية تنجز خصيصا لمراسيم التدشين، وكل شيء مغشوش، الواجهة فقط توحي برقيِّ المكان، لكن الكارثة في باطنه، الكل يخدع والكل يكذب ونستمر في جَرَّع مرارة الواقع المؤلم.

هي صورة مظلمة لا يحب أن يسمعها المسئول في بلادنا، بل يحب أن يقال له دائما: سيدي كل شيء على ما يرام... لا.. لا ...كل شيء كارثة، لأن الفساد لم تعد له صورة واحدة، فهو يشبه المتتالية الهندسية له أشكال مضاعفة ومتعددة، لم يعد الفساد نمطيا، بل أصبح ذا ألوان قاتمة مظلمة حيثما وضعت أصبعك لدغتك أفاعي الفساد.

كيف نصلح هذا الوضع؟ كيف نخرج من هذه الظلمة؟ كيف نرتقي بمشاريع بلادنا إلى مستويات تعكس خوفنا من الله سبحانه وليس من المسئول؟ الأمر ممكن، وبسيط، يكمن في إجراءات بسيطة ومرنة يمكن تلخيصها فيما يلي:

أن نحذف من قاموسنا شيء إسمه مراسيم التدشين، وأن يحوّل إلى زيارات مفاجئة تقييمية يشرف عليها مستشارون متخصّصون من جهات مختلفة يتم اختيارهم عشوائيا ومن مناطق مختلفة ليست لديهم سابقة تعارف ولا تواصل حتى نضمن عدم التواطؤ، مثلما يحصل اليوم.

أن يتم تكريم المتقن من المسئولين المحليين، ويفضح أمام الملأ وبكل وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة المسئول الفاسد الذي أهمل مهامه، بل ومتابعته قضائيا وحرمانه من ممارسة أية وظيفة مستقبلا بعد قضاء العقوبة دون أن يستفيد من العفو، بل يعامل معاملة الخائن خيانة عظمى لأمته.

كما يتم تكريم مؤسسات الانجاز المتقنة بإعطائها الأولوية في مشاريع مماثلة، ومعاقبة المؤسسات المفرّطة والمهملة في المهام الموكلة إليها وإدخالها القائمة السوداء، وفضحها في كل الوسائل الاعلامية بل حتى في المحافل الدولية باستخدام المواقع الالكترونية ومراسلة السفارات إن كانت مؤسسة أجنبية.

اعتماد شرطة الرقابة المحلية على إنجازات المسئولين المحليين، ورفع تقارير تفصيلية عن كل صغيرة وكبيرة تتعلق بالمشاريع المحلية، على أن تكون تركيبة هذه الوحدات المتخصصة من الشرطة أو الأجهزة المشابهة تركيبة متجانسة ومن هياكل أمنية مختلفة تتميز بالاختصاص والتكوين والتدريب في مجال التدقيق والمتابعة الميدانية للمشاريع، ووضعية المدن والقرى والمداشر التي تقع تحت مسؤولية الجماعات المحلية.

استحداث رقم أو أرقام هواتف خاصة برفع الشكاوي والتبليغ عن الخروقات التي يقع فيها المسئول المحلي، وضمان سرية وحماية المتصل والمبلغ عن هذه الخروقات مهما كانت صفة أو رتبة المسئول المعني، على أن يرى الناس أثر تلك المكالمات على أرض الواقع.

بمثل هذه الإجراءات يمكننا أن نتجاوز التبييض والتزيين والخيانة العلنية للمسئول المحلي للجهات العليا في هذا البلد الذي تهافت الكل على نهبه وخيانته، وكأننا نعيش في بلد غير بلدنا، نتصرف تصرفات أقل ما يقال عنها أنها خيانة عظمى للشهداء الذين ضحوا من أجل أن نعيش حياة الكرامة لا حياة الذل والمهانة...

في ملتقى القرآن في سُوف

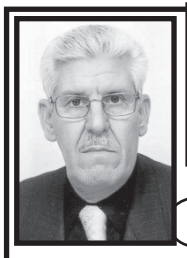

بقلم: محمد الهادي الحسني

تفضل الإخوة في شعبة «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» و«مدرسة عموري للقرآن الكريم» بمدنية وادي سوف بدعوتي للمشاركة في الملتقى السابع للقرآن الكريم، الذي عقد في 30 ـ 31 مارس وأول أفريل 2013.

وقد لبّيتُ الدعوة لأمرين اثنين:

*) موضوع الملتقى وهو «الحرية في القرآن الكريم: ضوابطها ومجالاتها»، وهو موضوع هام، وما يزال مجال جدال ومناقشات بين المفكرين والمثقفين في العالم، وفي عالمنا الإسلامي بوجه خاص، «لأن مصادرة الحريات تلغي إنسانية الإنسان، وتكرس الظلم الاجتماعي، والاستبداد السياسي، والحكم الجبري».

*) رغبتي في التعرف على منطقة أعطت الجزائر أعلاما في العلم والثقافة والجهاد ومنهم محمد العيد آل خليفة حسّان الحركة الإصلاحية، ومحمّد الأمين العمودي، أول أمين عام لجمعية العلماء، وعبد القادر الياجوري، الأستاذ في معهد الإمام ابن باديس، وكان يردد على أسماع تلاميذه: «إذا كان للظالم أن يستبد، فعلينا أن نستعد»، والشيخ عبد العزيز الهاشمي، شيخ الزاوية القادرية الذي انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مما جعل فرنسا تُصاب بالكلب وتجلب على الوادي بخيلها ورجلها، وتحاصره بضعة أيام، وتقبض على نخبته، وتروّع الآمنين، لأن انضمام شيخ الزاوية القادرية إلى الجمعية قد يدفع شيوخ الزوايا الآخرين إلى مراجعة موقفهم من الجمعية، وقد يشجعهم على أن يفعلوا مثل ما فعل، مما يفقد فرنسا عيونا وآذانا... ومنهم الشيخ حمزة بكوشة، ومنهم أستاذي الدكتور أبو القاسم سعد الله..

وقد حبّب إليّ وادي سوف ما كتبه عنه الإمام عبد الحميد ابن باديس، وهو: «لما ارتفعت دعوة الإصلاح بالجزائر كان في طليعة رجالها نُبهاء من أبناء «سوف» المثقفين وعلمائها المستنيرين، فدعوا إخوانهم بسوف إلى كتاب الله وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، والخلف الصالح من أئمة المسلمين، وإلى التواصل والاتفاق، وطرح التقاطع والافتراق، فاستجاب لهم كثير من أهل سوف، وتلقوا دعوة الإصلاح بذلك الإيمان القوي، واليقين الثابت، والتّديّن المتين(1)».

لقد أشرف على افتتاح الملتقى السيد الوالي - رغم الظروف السائدة - والسيد مدير الشؤون الدينية اللذان ألقيا كلمتين طيّبتين تدلاّن على طيب نفسيهما، وخلو صدريهما من الغلّ لجمعية العلماء، كما هو حال بعض من علمتهم الجمعية «الرماية» فرموها، وعلّمتهم الكلام فهجوها، وما ذلك إلا لسوء أنفسهم.

وقد أطر هذا الملتقى في جانبه العلمي ثلّة من الأساتذة الأفاضل: عبد الحليم قابة، عبد الحفيظ بورديم، عبد الله العربي، محمد الهادي الحسني، محيي الدين درويش، عبد المجيد بيرم، خالد إسماعيل. وخصص يوم الاثنين (1 أفريل) للنساء.

لقد طلب مني الإخوة المشرفون على الملتقى أن أتناول موضوع «الحرية في الإسلام من منظور جمعية العلماء»، فاستحسنت اقتراحهم، لأبيّن للشبان - قدر طاقتي ومعرفتي- المكانة والأهمية التي تحظى بهما الحرية في فكر جمعية العلماء، والجهد والتضحيات التي بذلتها الجمعية في سبيل استعادة هذه «الحرية المحبوبة» حسب تعبير الإمام ابن باديس.

هناك طائفتان من الجزائريين سمّيتُ إحداهما «محتكري الوطنية»، وسمّيتُ أخراهما «مُدّعِي الوطنية»، وهما طائفتان تختلفان في كل شيء، وتقول كل طائفة في الأخرى ما قالته اليهود والنصارى في بعضهما: ولكن هتان الطائفتان تتفقان على شيء وحيد هو أن الحرية لم تخطر لجمعية العلماء على بال، ولم تسرح لأعضائها في خيال، ولم تَسُغ لها بأية حال ولم تكن - كما يقول العرب- «لا في العير ولا في النفير»، ولا يقول هذا إلا جاهل أو حاسد، ولا يصدّقه إلا من سَفِهَ نفسه أو فقد عقله.

إن مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأعضاءها الأبرار لم ينسلخوا من آيات الله التي آتاهم، ولم يركنوا إلى الذين ظلموا، ولم يخونوا الله ورسوله وأماناتهم وهم يعلمون، ولم يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا، ولم يحرفوا الكلم عن مواضعه، ولم يتخذوا الفرنسيين أولياء... ولهذا أتحدى أي شخص أن يأتي باسم أحد من أعضاء جمعية العلماء اتخذه الفرنسيون سُخْرِيًّا سواء قبل إعلان الجهاد في 5 ربيع الأنور 1374 هـ (1 نوفمبر 1954م) أو بعده.. لقد علم الله في قلوبهم خيرا فربط عليها، وعلم في أقوالهم صدقا فَنَبَّتَهُمْ بالقول الثابت، وعلم في سعيهم إخلاصا فثبّت أقدامهم فلم تزلّ، وأحدّ أبصارهم فلم تزغ، وأرشد عقولهم فلم تضلّ... ولهذا لم يكتب التاريخ أن أحدا من أعضاء جمعية العلماء كان مصابا بما سماه إمامهم محمد البشير الإبراهيمي «القابلية للاحتقار»، أو بما سماه المفكر ابن نبي «القابلية للاستعمار»، فرحمهم الله، ورضي عنهم، وأرضاهم، وجعل أسماءهم للخلود، وأرواحهم للخلد.

إنه ليس لأعضاء جمعية العلماء الخَيِّرَة في أن يكونوا مع الحرية أو ضدها، لأن مرجعيتهم هي الإسلام وهو «دين التحرير العام.. بدون تحفظ ولا استثناء، لأنه الحق الذي قامت شواهده، وتواترت بَيِّنَاتُه، ومن شواهده وشهوده تلك الأجيال التي صحبت محمدا، وآمنت به، واتّبعت النور الذي أنزل معه، ثم الذين صحبوهم، ثم الذين اتبعوهم بإحسان..(2)».

لقد كانت مرجعية الأحزاب والجمعيات الجزائرية هي «الأدبيات الفرنسية»، ولذا كان فهم أعضاء تلك الجمعيات والأحزاب للحرية ناقصا، وكثير منهم يحاربون إلى الآن ثوابت الأمة من دين، ولسان، وتاريخ.. فأية حرية لمن لا دين له، ولا لسان، ولا تاريخ.. حتى إن أحدهم قال قبل أن يعيده العلماء إلى الرشد: «أنا فرنسا» وقال آخر: «نحن لاتينيون»، واعتبر أحدهم هذه الثوابت «طابوهات» فراغ عليها هدمًا وثَلْمًا.. وقد كان الفرنسيون يردون على مناضلي تلك الأحزاب والجمعيات، عندما يطالبونهم حتى بتلك الحرية المنقوصة؛ يردون عليهم بما معناه: «بضاعتنا رُدّت إلينا»...

بينما كانت مرجعية «العلماء» هي الإسلام كما أسلفت، وما ينبغي أن تكون لهم مرجعية غيره، فقد كتب الإمام ابن باديس تعليقا على أول خطبة ألقاها الخليفة أبو بكر الصديق بعدما استنبط منها ثلاثة عشر مبدأ في كيفية اختيار الأمة لحاكمها، ومحاسبته: جاء فيه: «هل كان أبو بكر ينطق بهذا من تفكيره الخاص وفيض نفسه الشخصي؟ كلاّ! بل كان يستمد ذلك من الإسلام ويخاطب المسلمين يوم ذاك بما علموه، ولا يخضعون إلاّ له، ولا ينقادون إلاّ به، وهل كانت هذه الأصول معروفة عند الأمم فضلا عن العمل بها؟ كلاّ! بل كانت الأمم غارقة في ظلمات من الجهل، والانحطاط، ترسف في قيود الذل والاستعباد تحت نير الملك، ونير الكهنوت، فما كانت هذه الأصول - والله إذن- من وضع البشر: وإنما كانت من أمر الله الحكيم الخبير (3)».

لقد كان رأي جمعية العلماء الصائب وعملها الدائب هو تحرير العقول والأذهان أولا، «وإذا حررنا أرواحنا وعقولنا فقد حررنا كل شيء (4)» ولأنه كما يقول الإمام الإبراهيمي: «محال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا» «فإذا لم تتحرر العقول والأرواح من الأوهام في الدين وفي الدنيا كان تحرير الأبدان من العبودية والأوطان من الاحتلال متعذرا أو متعسرا، حتى إذا تم منه شيء اليوم ضاع غدا، لأنه بناء على غير أساس والمتوهَّم ليس له أمل فلا يرجى منه عمل (5)».

كانت جمعية العلماء تؤمن أنه لا يمكن أن تتحرر الجزائر قبل أن يتوحد أبناؤها في مواجهة عدوهم الفرنسي، ولهذا دعا الإمام ابن باديس الجزائريين إلى أن «كونوا جبهة متحدة لا تكون المفاهمة إلا معها (6)»، كما دعا الإمام الإبراهيمي وسعى إلى توحيد الأحزاب فتتوحد الأمة لتوحدهم (7).

لم تكتف الجمعية بالدعوة إلى الاتحاد باللسان؛ بل سعت في ذلك عمليا، وإليها يعود الفضل في تجميع أغلب الجزائريين في «المؤتمر الإسلامي» (1936) وفي البيان الجزائري (1943)، وفي «الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها» (1951).

وأما مؤسسات الجمعية فكلها موصوفة بالحرية، فمدارسها حرة، وصحفها حرة، ومساجدها حرة، ونواديها حرة، ومعلموها أحرار، وأئمتها أحرار.. وذلك حتى تألف الآذان كلمة الحرية، فتتطلع إليها النفوس، وتتشوف إليها العقول، وتتعشقها القلوب، فتسعى إلى تحقيقها ونيلها الأيدي..

ولم تقتصر الجمعية على الإشادة بالحرية والدعوة إليها؛ بل تجاوزت ذلك إلى الدعوة إلى القوة لاسترجاع حريتنا، فقد كتب الإمام ابن باديس في نشيده الخالد:

يا نشء أنت رجـــاؤنا

وبـــك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها

وخض الخطـوب ولا تهب..

وكتب الإمام الإبراهيمي يقول: «إن الحقوق التي أخذت اغتصابا لا تسترجع إلا غلابا (8)»، وخطب في باريس في آخر سنة 1951 قائلا: «لقد مضى عهد اللسان وجاء عهد السّنان..(9)».

والذي نفسي بيده، لقد سألت الأستاذ عبد الحميد مهري - رحمه الله - إن كان في أدبيات حزب نجم شمال إفريقيا، وحزب الشعب، وحزب حركة الانتصار للحرية إشارة إلى استعمال القوة لاسترجاع الحرية، فأجاب بأنه لا يذكر ذلك، فإذا كان سي مهري - وهو من هو- لا يذكر، فمعنى ذلك أنه لا يوجد شيء من ذلك..

فسلام على جمعية العلماء يوم أسسها - على تقوى من الله ورضوان- الأخيار، ويوم نوى إطفاء نورها الأشرار، ويوم بعثها الأبرار، ويوم يعلي صرحها الأحرار.

وأنصح لأبناء جمعية العلماء من الجيل الجديد أن يطلعوا على تراث الجمعية حتى إذا تقول عليها متقوّلٌ قذفوا باطله بحقهم فيدمغه فإذا هو زاهق..

«فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض»، وسلام على الأحبة في سوف العلم والمجد..

هوامش:

1) آثار الإمام ابن باديس: 5 / 159 - 160

2) آثار الإمام الإبراهيمي: 4 / 375

3) آثار الإمام ابن باديس: 4 / 365

4) المرجع نفسه: 4 / 443

5) آثار الإمام الإبراهيمي: 4 / 344

6) آثار الإمام ابن باديس: 6 / 168. وماذا فعل الجزائريون في 1954 غير هذا.. ورحم الله أبا الطيب المتنبي القائل:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ••• هو أولٌ وهي في المحل الثاني

7) انظر آثار الإبراهيمي.. ج3

8) آثار الإبراهيمي.. ج1 ص 283

9) آثار الإبراهيمي..ج2 ص 466

عن "الشروق اليومي" بتاريخ 4 أفريل 2013.

تجديد الفكر الإسلامي من موقع الذات

بقلم: عبد القادر قلاتي

لا يمكن أن نحدد شروطًا موضوعية لتتم عملية التجديد في حقل التداول الإسلامي دون توقف هذه المحاولات التي تتم بعيدًا على النصوص المؤسسة لتراثنا الديني. والتي تعمل على الاستنجاد بمفاهيم تشكلت خارج هذا الحقل التداولي. لتصوغ مفاهيم هامشية لا تلمس بنية التراث وإطاره العام، ومن ثم لا يطال مجهودها سوى ما تشكل في التاريخ من نصوص أفرزتها قراءات تمت حول هذه النصوص المؤسسة (القرآن والسنة). والتي ارتبطت بسياقات تاريخية وحيثيات وليدة تلك اللحظة التاريخية، وإذا كنا نشترط إبعاد هذه المحاولات، فإننا لا نملك اشتراط إزاحة مجهودها الذي قارب القرن ونصف القرن.

وفي محاولتنا لتحديد الشروط الموضوعية التي يجب أن يستوفيها حصول عملية التجديد بعيدًا عن الأنساق المعرفية والأنماط الحدثية التي ترتبط بحقل تداولي آخر. يستوجب ذلك التقدير السليم للحقيقة الدينية التي تختلف اختلافًا بينًا عن المعايير الفلسفية التي تطبع النمط الحداثي الغربي. ذلك -كما يقول طه عبد الرحمن - أن «مسالك الغرب في التحديث بُنيت أصلاً على أسس عقدية وقواعد مذهبية تعارض الحقيقة الشرعية الإسلامية. وكل من اتبع هذه المسالك الحداثية من غير إتمام التبصر بسياقاتها العقدية وكامل التبين لآثارها ومآلاتها القريبة والبعيدة، لا بد أن يقع في الإضرار بعقيدته الدينية وبعمله الشرعي، ذلك أن هذه المسالك قامت على صنفين من الفصل: أحدهما: فصل العقل عن كل دلالة على الغيب، ومن المعلوم أنه لا عقل في الإسلام إلا ممن أدرك هذه الدلالة الغيبية وعمل بها؛ والثاني، فصل العلم عن الأخلاق»، وهنا يكمن الخلاف المعرفي بين النمطين المذكورين. ذلك أن العقل والعلم يمثلان المستند بالنسبة لكلا النمطين، فالحداثة الغربية تستند إلى العقل بعيدًا عن كل دلالة غيبية وعن العمل عندما يتجرد من كل دلالة خلقية.

وهذا ما يدفعنا للبحث عن نمط مخالف يبقي للدلالة الغيبية والخلقية حضورها عند كل محاولة للتجديد لما للدلالتين من ارتباط بهذين الصنفين؛ لذا يجب أن نطلب نمطًا تحديثيًّا مغايرًا، لما كنا قد سلمنا به منذ الإرهاصات الأولى للمشروع التجديدي الذي يزيد عن قرن ونصف إذا اعتبرنا لحظة التجديد بدأت مع الحركة الوهابية، واعتبرنا هذه المحاولة أولى حلقات ما قد نسميه بالتجديد الذاتي الذي تم بعيدًا عن فتنة النمط الحداثي الغربي الذي هيمن على كل المحاولات التي جرت هنا أو هناك في عالمنا العربي والإسلامي.

فالمحاولة، وإن كانت بسيطة إلا أنها طرحت مفهوماً ذاتيًّا للتجديد يتلخص-كما يقول مالك بن نبي - في «سيطرة الفكرة الإسلامية الوحيدة التي تصلح بما فيها من طاقة متحركة، لتحرير العالم الإسلامي المنهار منذ سقوط خلافة بغداد» دون الاستناد إلى مفاهيم من خارج المنظومة الفكرية الإسلامية. وهنا تكمن فرادة هذه المحاولة التي لم تبدد فاعليتها سوى تحالفات سياسية ألغت كل بعد لفكرتها الأساس.

ثم ظهرت محاولات أخرى بدت أنها امتداد لها غير أن طغيان النمط الحداثي الغربي دفع بهذه المحاولات بعيدًا عن (الفكرة الأصيلة في الإسلام) كما يسميها المرحوم مالك بن نبي. فالشروط الموضوعية التي يمكن أن تضمن تحقق محاولة تجديدية جادة ليست واضحة بالقدر الذي يجعلنا نحددها ضمن عناصر معينة، بل إن هذه الشروط حسب تقديرنا للحالة التي يعيشها الفكر الإسلامي المعاصر غير واضحة المعالم في ضوء هذا الجمود والارتهان للحداثة الغربية، ومن ثَم فالفكر الإسلامي يجب أن يتحرك ضمن تفكير جديد انطلاقًا من الموروث الديني، وأن يستثمر الآليات التي صاغت مفهوم العلم والمعرفة في إطار هذا الموروث دون الارتهان للنمط الحداثي الغربي، بل يستفيد من الحركة النقدية التي بدأت تطال الابستملوجيا الغربية.

guellatiabdelkader@gmail.com

لا تضاعفـــوا من أسبـــاب جنـــوح الأحـــداث فـي الجزائـــر...

بقلم الأستاذ :محمد العلمي السائحي

يتعرض الأحداث في كل مجتمع إلى الخروج عن جادة السبيل، فينحرفون ويسقطون في مستنقع الجريمة، ويتحولون مع الأيام، إذا لم يتدخل المجتمع للرجوع بهم إلى النهج السليم، والطريق المستقيم، إلى مجرمين عتاة، يعيثون في الأرض فسادا، يروعون الآمنين، ويعصفون بالأمن، ويعتدون على الأرواح والممتلكات، وإذا كان الجنوح ظاهرة عامة لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات الإنسانية في أي زمان كانت أو مكان فإن أسباب هذا الجنوح كثيرا ما تختلف من مجتمع لآخر، فقد يجنح الأحداث في المجتمعات الغربية لأسباب ثقافية وسياسية كظهور مذاهب فكرية تمجد القوة وتنزع إلى التمييز العنصري، أو يجنحون بسبب الإهمال العاطفي بفعل انشغال الوالدين عنهم بحياة الثراء والترف، أما عندنا فإن جنوحهم في الغالب الأعم، يرجع إلى التسرب المدرسي الذي مرده إلى ضحالة المضمون التربوي في مناهجنا، وفشل طرقنا التعليمية، وضعف كوادرنا التعليمية، وسوء إدارة مؤسساتنا التربوية، ويرجع كذلك إلى التفكك الأسري الناجم عن تفاقم ظاهرة الطلاق، التي يعتبر التضخم وارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة من مسبباتها الرئيسة، بالإضافة إلى انعدام السكن أو ضيقه وعدم تناسبه مع عدد أفراد الأسرة، بالإضافة إلى المؤثرات الثقافية التي من بينها ما يشجع على العنف ويحرض عليه، ولا ينبغي أن نغفل عامل البطالة والفقر الشديد في دفع أحداثنا إلى الجنوح، وهذا معناه أننا لا نستطيع التصدي للجنوح في مجتمعنا بنفس الطريقة التي اعتمدها مجتمع غربي ما وأثبتت نجاعتها عنده، بل علينا أن نبني طرق مقاومتنا لجنوح أحداثنا، على أساس ما يتفق مع الأسباب الموضوعية الدافعة إليه، وعلى ما يترتب عليه من نتائج بالنسبة لمجتمعنا، ووفقا لما ينسجم مع معتقداتنا، وأعرافنا وتقاليدنا، ومع ما يتماشى مع الثقافة السائدة عندنا، وإن لم نفعل ذلك فإننا لن نفلح أبدا في التصدي للجنوح، حيث أن اعتماد المناهج والطرق الأجنبية قد لا يقتصر أثره على مجرد الفشل في مقاومة الجنوح، بل قد يتسبب في إضافة أسباب جديدة أخرى تنضاف إلى الأسباب القديمة التي تغذي ظاهرة جنوح الأحداث عندنا، ومن ذلك مثلا: أن السماح بتدخل الإدارة والقضاء في علاقة الطفل بأبويه، قد تبدو لنا أنها تحمي الطفل من تعسف الوالدين، لكن ذلك يمكن أيضا أن يسهم في تشجيع الأبناء ذكورا وإناثا على التمرد على سلطة الأبوين، مما يحول بينهما وبين التدخل لحماية أبنائهم القُصر في الوقت المناسب، مما قد يسبب جنوحهم، كما أن معتقدنا وثقافتنا تجعلنا ننظر إلى اللواط نظرة تختلف تماما عن نظرة الغرب إليه الذي اعترف بالزواج المثلي وأقر به وقننه في بعض مجتمعاته، فهي عندنا ليست محرمة فقط، بل هي تستوجب الإعدام لطرفيها، وتنطوي على إهدار للرجولة، وتستوجب من المكره عليه الثأر ممن اعتدى عليه ليغسل عاره، وقد قرأنا في صحفنا الوطنية أن حدثا من الأحداث قد قتل كهلا لأنه اعتدى عليه جنسيا، كما أن الزنا عندنا محرم سواء أتم بالتراضي أم بالإكراه، بينما التشريع الغربي لا يقاضي الجاني إلا إذا ثبت لديه أنه أكره الطرف الثاني عليه، أما إذا تم الفعل بالتراضي فلا مسؤولية تقع على الزاني، وذلك يرجع إلى أن المجتمع الغربي مجتمع إباحي، لا يرى بأسا في قيام علاقات جنسية خارج إطار الزواج، والمرأة التي تنجب خارج إطار الزواج في الغرب، يمكنها الاحتفاظ بولدها وتربيته، بينما ثقافتنا نحن ترفض ذلك، وهذا مما يدفع المرأة عندنا إلى التخلص من مولودها بالقتل أو البيع أو الترك، وقد دفعني إلى قول هذا قراءتي لقانون العقوبات المعدل كما نشرته جريدة النهار الصادرة بتاريخ:04 _ 04 _ 2013 حيث ظهر لي أنه اعتمد في صياغة مواده على الاقتباس من القوانين والتشريعات الغربية، الأمر الذي يجعله غير فعال لاستئصال هذه الآفة المرذولة من مجتمعنا، وهو الأمر الذي يفرض على الهيئة التشريعية عندنا مراجعته، وإعادة مواءمته وتكييفه مع واقع المجتمع وثقافته الإسلامية، حتى يكون له الأثر الفعال في مقاومة الجنوح عندنا وحماية أبنائنا وبناتنا من الذئاب البشرية التي تتهددهم في كل وقت وحين...

نظـرات مشـرقة

سوريا، هل من مخرج؟

بقلم: الأستاذة عفاف عنيبة

باعتراف بشار الأسد، سوريا دُمِّرت تدميرا، والعجيب أن الرجل لا يزال يمنّي نفسه بأنه باق في الحكم إلى ما شاء الله.

أي رئيس آخر، تسبب في خراب بلاده كما هو حال سوريا اليوم، كان سيتنحى حقنا للدماء والتدمير، هذا ما لا نتوقعه من أمثال الأسد وحاشيته. تضحيات الشعب السوري في خلال عامين من الثورة التي بدأت سلمية، تضحيات جسام، ما خسروه بشريا غير قابل للتعويض، قصف وسحق الناس في بيوتهم باسم محاربة الإرهاب حجة بوش المتجددة، هذا ما جناه المستبد على شعبه، الأمل وارد، فلكل عذابات الأبرياء نهاية آجلا أم عاجلا.

يبقى أن المجتمع الدولي، كما هو متناقض مع المبادئ الإنسانية في ملف فلسطين أساء أيضا التعامل مع ملف سوريا، الآلاف المؤلفة من القتلى وكل ما يحسن فعله المجتمع الدولي إصدار بيانات تنديد عبر مجلس الأمن، بينما لم يصدر أي قرار إدانة نافذ ضد العدو الصهيوني، فكيف به يهتم بشعب سوري مشرد في المنافي وعلى حدود بلاده؟

فهم يخافون على أمن شعب المحتلين في فلسطين أكثر مما يخافون على شعب سوريا، أو شعب فلسطين. فسياسات العالم الغربي بما فيها الصين منفعية، تراعي في المقام الأول مصالحها المباشرة، وأما الانتصار للحق، فهذا آخر ما يفكرون فيه.

والأدهى والأمَرّ أن الدول العربية اكتفت بالتفرج على المأساة لمدة تناهز العامين، لم نر أي شيء ملموس من مجموعة الخمسة في ملف سوريا، كل دولة مشغولة بهمومها الكبيرة، العراق غارق في مستنقع الحكم الطائفي، مصر تتدارس موقفها الاقتصادي الحرج جدا دون ذكر الفوضى السائدة فيها بفعل معارضة غير ناضجة وغير مسئولة، إيران مقبلة على انتخابات رئاسية وانحيازها إلى جانب النظام البعثي مفضوح، فهل من مخرج لهذه المأساة التي طال أمدها على شعب سوريا المفجوع؟

الحل موجود، لكن هل الإرادات السياسية في مستوى الآمال؟ هذا للأسف ما لا نستطيع الجزم به. فما نريد تجنيبه لسوريا هو المزيد من الاحتقان الطائفي والانقسام الترابي والفرقة العرقية، مَطالب الشعب السوري بسيطة، حرية ثم حرية ثم حرية، عدالة ثم عدالة ثم عدالة، ولا سبيل لوقف آلة الموت إلا النزول بكل ثقل الدول والشعوب لتمكين السوريين من حق تقرير مصيرهم، وهذا ليس مستحيلا، بل واردا، المطلوب تصميم وإرادة سياسية قوية، وتوحيد الصف، وتناسي كل شيء خلاف ذلك.

من كان يظن أن نظام مبارك المتصهين سيسقط يوما ما، ومن ظن أن القذافي المستبد ستكون نهايته على أيدي من أساء إليهم ببقائه في الحكم لمدة ناهزت أربعة عقود من الزمن؟ فكيف نمنع أنفسنا من الحلم في حالة سوريا، خاصة أن نظام الحكم المستبد لبشار الأسد لم يعد مسيطرا على كل التراب السوري، فالحلم بإمكانه أن يغدو حقيقة بفضل تضحيات شعبه وشبابه إن شاء الله.

ouneibafaf@gmail.com

التغافل والتسامح في شؤون المراقبة والمحاسبة من بين الأبواب المفتوحة على إضاعة المقومات المؤثرة في رعاية الواجبات والحقوق، وعلى الصور السوداء التي تعكس عجز المجتمع عن حفظ روابط التكافل والتكامل في نشاط فئاته المتنافسة.

بقلم: الأستاذ إبراهيم قمور

غفلة وتسامح وميلاد الفساد

ومن علامات يقظة المجتمع وقدرته على حماية أعضائه أو أفراده من ارتكاب الجرائم والأخطاء الناجمة عن الإهمال والتقصير، أنه لابد من المتابعة والمحاسبة، ليكون التنظيم متماسكا والاستقرار متينا، ويبدو أن السبب القوي الذي يستحق لأجله المجرمون والخطاءون العذاب عقابا لهم، أنهم لم يكونوا يؤمنون بالمحاسب، وكانوا يتعجبون في أنفسهم، ويتساءلون في حيرة، كيف نعود إلى الحياة في الآخرة، وقد استحالت أجسامنا إلى تراب وعظام نخرة؟ وإذا تتبعنا أنواع الجرائم والفساد من حولنا في شتى القطاعات والميادين وجدناها، أو وجدنا أكثرها منبعثا وناشئا من أن أفراد في المجتمع لا يتوقعون حسابا وجزاء على تصرفاتهم كلها، ولذلك فهم ينطلقون في سلوكاتهم مما يحبونه وتشتهيه أهواؤهم، ولو اختلط بالحمق والمضرة، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الموقف في الآية (27 من سورة نبأ بقوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا}، وليخطب الواعظون، وليجتهد المصلحون، وليتوعد أهل الأخلاق ما شاءوا، فلا تأثير لمنع النفوس من الميل إلى ما تهواه فيما يجري من الشؤون الدنيوية، ولهذا فالقوة التي تمكن من الصلاح للمجتمع في الحياة الدنيا لتستقيم معاملاته وتصفو مشاربه وتزدهر أحلامه وطموحاته، هي نفس القوة التي تعين على الاستعداد للنجاة من العذاب الأليم في الآخرة، والمؤكد أن الكفار يعاقبون بشدة يوم القيامة على فسادهم، لأنهم لم يكونوا ينتظرون حسابا، وهذا الاقتناع جعلهم يقبلون على اللذائذ والمتع بدون نظام أخلاقي يراعي شروط العدالة والتكافل المأمول..إن ظاهرة الجرائم والفساد التي نشاهدها يوميا، والتي يكثر في شأنها الحديث والتعاليق، قد انتشرت بهذه الكيفية، لأن طائفة من أعضاء المجتمع أصبحت لا تتوقع حسابا هنا أو هناك، ولذلك راحت تسعى إلى اكتساب ما تقدر عليه من مال وجاه ومكانة بقطع النظر عن ألوان المضرة التي تلحقها بالآخرين، سواء أكانوا مؤسسات عمومية أو مصالح خاصة، ولاشك في أن توقع الحساب وانتظاره والخوف من عواقبه، والحياء من انعكاساته الاجتماعية، مما يجعل المجتمع متماسكا ومنطلقا إلى المعالي بحماس، ومن أسباب هذه الجراءة التي تطبع أعمال مرتكبي الجرائم والفساد، ضعف العدالة أمام قيامها بوظيفتها، تغافل وتسامح المجتمع مع المجرمين والمفسدين، غفلة الضمير الفردي عن الإحساس بالتأنيب عند الانحراف والزيغ عن جادة الصواب، فهذه العوامل متعاونة تساعد على تكاثر الجرائم وهجوم الفساد مثلما تؤكد مدارس الجزاء في علم الاجتماع الحديث، والخلاصة هنا: أن الردع إزاء الجرائم يكون من جانب السلطان الحاكم، أو من جانب المجتمع، أو من جانب الضمير الحي الذي يضطرب في غمرة الأحداث المؤثرة، وديننا الإسلامي الحنيف لم يغفل تأثير هذه العوامل، بل إنه فاق كافة الشرائع في هذا الاتجاه، لأنه يحتاط للجريمة قبل وقوعها، كما يحتاط للفساد قبل حدوثه وانتشاره، فديننا الإسلامي الحنيف يبين للمؤمن خصوصا والإنسان عموما، أنه إذا اختفى في عمل عن أعين القضاء في المحاكم، فإنه لا يستطيع الاختفاء عن قضاء السماء، وأن العصمة من الجرائم والفساد تنبني على نوعية ودرجة التربية والتكوين اللذين يفضيان إلى الاعتقاد الراسخ بأن الإنسان محكوم عليه ومحاسب في الآخرة أمام خبير عليم لا تخفى عليه خافية، ولا قدرة لأحد أن يستتر منه يومئذ، وإذا نجا الإنسان في هذه الدنيا من عقاب السلطان أو المجتمع أو الضمير بعد المحاسبة، فإنه لن تكون له هذه النجاة أمام الحليم الخبير الذي يقول في الآية 19 من سورة غافر:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} وإنه لا يقدم على الجريمة والفساد مؤمن عميق الإيمان بالوازع الديني الذي يؤكد بالحجة والبرهان وجود رقيب وحسيب لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، إن الذين لا يرجون حسابا في الآخرة، ولا يردهم الحياء، إلى الصواب في الدنيا، هم الذين يتجرأون على تخريب الفضائل التي تستقيم بها الحياة، ومهما يكن الأمر فالمراقبة والمحاسبة الداخلية والخارجية من أساليب تحقيق الضبط والانضباط، وأي تغافل وتسامح عاقبتهما النتائج الوخيمة، ومن الغفلة والتسامح يولد الفساد.

أي مستقبل للقنوات الفضائية الحالية والقادمة؟!

بقلم:
الأستاذ عبد الباقي صلاي *

رغم أن الجزائر تأخرت كثيرا وبشكل كبير عن مسايرة الركب أو ما يشاع إعلاميا مسايرة موضة إطلاق القنوات الفضائية التي أصبحت مع مرور الوقت من المستلزمات القوية لأي دولة تريد أن تجاري الحياة الإعلامية والحياة العادية، ولا تكون عرضة لشلاّل المعلومات المنهمر من هنا وهناك دون دراسة ومعرفة مصدر هذه المعلومات والتي في أحايين كثيرة تكون هذه المعلومات مغلوطة عن قصد.

فرغم أنها تأخرت -أي الجزائر- عن إطلاق قنوات خاصة وحسب ما يتطلبه الواقع المجتمعي، وما يتطلبه المطلب الفعلي للحياة الإعلامية، إلا أن مستقبل هذه القنوات كما تدلل عليه الكثير من المعطيات، سواء ما لمسناه من التجربة الحالية لقنوات خاصة والتي تستعمل طريقة بث خارجي أو هي القنوات التي جسمها في الخارج ورأسها في الداخل، وتمارس ما نسميه التحايل القانوني في وضح النهار، وبعلم السلطات المعنية بإشكالية القانون الذي ما يزال قيد التحرير لم ير النور بعد، سيكون ضبابيا، وهلاميا شأنه شأن الصحافة المكتوبة، وإن كنا نفرق جيدا بين الصحافة المكتوبة التي يتحكم فيها تسيير خاص وميزانية ربما لا تكون بحجم الميزانية الكبيرة التي يجب أن تحوزها قناة فضائية محترمة، وبين قناة فضائية عابرة للقارات بمجرد أن تحجز لنفسها اسما عبر الأقمار الصناعية المعروفة سواء كان النايل سات أوالهوتبورد أو العربسات.

مستقبل القنوات الخاصة بالفعل مجهول ليس لأننا نعلم الغيب أو نقرأ الكف، أو نفك طلاسم الجن، ولكن لأننا نحسن قراءة الواقع الإعلامي وفق معطى واحد فقط، أن أي قناة لا تحوز على عناصر معينة لا يكتب لها النجاح، ولا تستطيع أن تستمر إلا إذا كانت الدولة وأموال الدولة وراءها، ومن بين هذه العناصر، الكفاءة، والنزاهة، والصدق، والمال، والرؤية الصحيحة، وقبول التعاون مع أي طرف له القدرة على المساهمة في المشاركة في القناة لأن العمل الإعلامي ليس عملا فرديا بقدر ما هو عمل جماعي بالدرجة الأولى.

لهذا فإننا عندما نشك في قدرة هذه القنوات على أن يكون لها مستقبل كما كل القنوات الناجحة في الدول العربية على أقل تقدير- نحن لا نطمع في النجاح الذي عليه القنوات الفضائية في العالم الأوروبي والأمريكي- فإننا متيقنون أن هناك خللا في العناصر التي تحدثنا عنها سلفا، وهي بدأت تلوح في الأفق فعليا، فالقنوات التي بكل تأكيد تنشط على الساحة ستكون ضمن المشهد الإعلامي القادم عندما يخرج قانون الفضائيات للنور، وتترتب عليه السيرورة والديناميكية، وعندما نتحدث عن قنوات بكفاءة ناقصة، أو قل كفاءة المتخرجين من الجامعة، باعتقادنا لا نتوقع إعلاما محترفا على الرغم أننا نشعر بسعادة غامرة عندما نرى هذا القبول من قبل هذه القنوات للفئة الجامعية التي وجدت ضالتها في أن تتعلم والقنوات وجدت ضالتها في فئة لا تطالب بالكثير، لكن هذه المعادلة أو قل هذه المتراجحة غير المتكافئة إطلاقا لا تعطي إعلاما محترفا، ولا تأمل منه سوى الانكسار، لأن الإعلام المرئي- أو أي صنف من صنوف الإعلام الآخر- يحتاج إلى مكانز مات معينة كي ينجح ويشتد عوده، ويحتاج إلى رجال أكفاء أصحاب مواهب، لا إلى رجال من الصنف الذي يمارس الطقوس الإعلامية دون اكتراث بواقع أو بالمهنة ذاتها، أو كما يسميهم الكثيرون دخلاء المهنة جاؤوا عبر الجو الماطر!!.

في الحقيقة نحن لا نناقش إلا ما يمكن أن يكون عليه المشهد الإعلامي للسمعي البصري مستقبلا، لاسيما دور هذه القنوات الفضائية في تطوير الساحة إعلاميا، وهل ستكون كإضافة للنقص الذي يتنطع الكثيرون كون التلفزيون الجزائري- أو اليتيمة- أوجده لعقود، لكن يجب أن نفهم شيئا وحسب ما استقر أناه من خلال ما يدور على الساحة أن التلفزيون الجزائري على الرغم من نقائصه إلا أنه سيبقى مدرسة في الجزائر، ومعلما من معالم التلفزيونات التي خرّجت الكوادر المهمة في الإعلام والتي هي حاضرا متواجدة بقنوات فضائية عربية، استطاعت أن تجد لنفسها مكانة مرموقة ضمن سرب من الصحفيين والإعلاميين العرب وغير العرب. إننا نناقش الدور الفعلي والدور الذي سيؤديه تواجد مثل هذه القنوات الفضائية في المشهد الحياتي، وضمن النسق المجتمعي للأمة الجزائرية المتعطشة لقناة تلبي طموحا جامحا وتكسر الحاجز النفسي الذي كان لديها من خلال التيه الذي عاشته بحثا في باقة القنوات الفضائية الأخرى.

أي مستقبل للقنوات الفضائية الحالية والقادمة ربما سؤال يطرح عدة أسئلة أخرى ضمن الفرز الذي سيكون مستقبلا للقنوات الفضائية التي تطمح أن ترى النور لكن بمعايير غير مهنية، وبمعايير غير مبنية حتى على أسس تجارية حقيقية، لأن التاجر الحقيقي هو الذي يفهم كنه السوق ويدرك تموجات السوق حتى يعرف من أي باب يلجه، وكيف يستطيع أن يخرج منه بأقل الخسائر.

لا أريد أن أتطرق لتجربة عشتها شخصيا مع قناة فضائية فتية توسمت منها ومن صاحبها الخير، وقلت في نفسي أني أستطيع أن أقدم شيئا مهما، وأستطيع أن أضيف مهارة إعلامية للساحة كمهني مارس العمل التلفزيوني لمدة متواضعة، ولكن فقط أردت أن أظهر مدى أسفي وحسرتي على العمل الإعلامي الذي كلنا نأمل أن نرى شيئا إيجابيا من خلاله، ونحقق قفزة إن لم تكن نوعية ستكون مفعمة بالأمل مع مرور الوقت تتشبع وتينع وتزهر وتؤتي أكلها، للأسف الشديد التجربة لم تستمر لأننا نعمل في بيئة لا ترى في الإعلام الصدق والإخلاص والروح الشجاعة، بل ما تراه سوى فذلكة وبحث عن توقع خارج سياق الإعلام ذاته.

*إعلامي ومخرج أفلام وثائقية

من لا يـذد عن حوضـه بسلاحه يهدم...

بقلم: الأستاذ عبد الكريم بوعمامة

لـم نسمع ولم تطالعنا الأخبار أن شعبا من شعوب الأرض يحتقر لغتـه وثقافتـه، يدينها ويهينها، يذمها ويحتقرها، وينـزل بها إلى منـزلة الحضيض، كما فعل الشعب الجزائري في لغتـه العربيـة، حتـى وصلت الجرأة بالدهماء والغوغاء، إلى تشويـه اللغة العربية واحتقارها والكتابة على أبواب محلاتهم كما يحلوا لهم.

كتب أحدهم على واجهة محله (لحم محمد) وباللغة الرسمية..'(Viande Congelée) مجرد نسيان أو إهمال نقطة الجيم تغير المعنـى كله، وكتب ثانيهم على واجهة محله (معمل كباب) ماذا يفهم المرء من وراء هذه الكلمة..؟ وباللغة الرسمية .(Bobinage)

وكتب ثالثهم على واجهـة محلـه (شـوَّاي الشعب) ورابعهم (شوَّاي الزوار) أعـاذنـا الله وإياكم منها.

وهناك أخطاء لا حصر لها منها الرسمي وغير الرسمي، مثلا: بين الدراية والعاشـور لوحة رسمية في مفترق الطرق تعلن الطريق إلى "العاشور" كتب عليها "بالبنـط العريض" (لعـشور) لازالت حتـى كتابة هذه السطور تشهد على ذلك، ولوحة رسمية أخرى "بالبنط العريض" تعلن الاتجاه إلى حي (قايـدي) بباب الزوار، كتب عليها باللغة الرسمية ...(Kaidi) وباللغة العربية (قيـدي) ..؟

لو قدر الله وكتب أحدهم على واجهة محله باللغة الفرنسية بهذه الأخطاء، أو وقع خطأ في الكتـابة عـلى لوحة مفـترق الطرق ماذا يقع يا ترى..؟ طبعاً ستقوم القيامة، وستكتب الجرائد، وسينهـض الرسميون لإصـدار الأوامر، والقرارات لإزالـة الأخطاء، وإلاّ ستنـزل العقوبات على صاحب المحل، أو المؤسسـة التـي تولت كتابة ألواح مفترق الطرق، لأنهما تسببا في الاعتداء وتشويه لسـان "موليير ولافونتين" لغـة الحضارة، أما لسان ابن منظور، وابن خلدون، وابن جنـي، فهو مبتور في الجزائر، لأن اللغة العربية مغتربة في وطنها، ليس لها أب ولا أم ولا أهل يسألون عنها ولا من يبكي أو يتباكى عليها، إذا كانت منظومة التربيـة والتعليم في الجزائر - العمود الفقري للوطن- في أيدي أناس لا علاقـة لهم بالثقافـة العربية ولا بالعادات والـتقاليد الوطنية، ولا ارتباط لهـم بالتاريخ، ولا بالأخلاق الإسلامية، فهذا طبعا يخلق اغترابا ثقافيا وبعدا حضاريا، وتزداد وتيرة البعد عندما تكون لغة التعليم والتخاطب أجنبية.

يقول محمد الصديق بن يحي -رحمه الله- والذي يتهمونه بأنه شيوعي، لكنه وطنـي مخلص غيور على وطنيته، يقول في مناسبة تصحيح الجامعات في ندوة صحفية عقدها في جويلية سنة1971 وذلك ليجعل التعليم العالي مرتبطا بالمجتمع وقيمه وحاجاتـه وتطلعاتـه: [إن الجـزائر لم تكـوِّن إلا حامـلي شهادات في بلادهم، لكنهم لا يحملون علامة تدل على اهتمامهم بالمشاكل وباختيارات بلادهم. كيف يمكن أن يلعب حامل هذه الشهادة الدور الذي يُعهد إليه كإطار لحل المشاكل التـي تواجه شعبنا، إنه لا يحمل علامة أمته إنه أجنبي وسط شعبه وفي كثير من الأحيان غير قادر على فهمه].

إن اللغة العربية في الجزائر يجري اغتيالها بصمت وهـدوء، وأصبحت تراثا وجلباباً يلبس في المناسبات لإلقاء الخطب والمحاضرات "وَبَـسْ" ثم ينـزع الجلباب ويعاد للخزانة ويغلق عليه حتـى تأتي مناسبة أخرى.

يقول الأستاذ عثمان الكعاك في رسالـة صغـيرة أسمـاها (بلاغة العرب في الجزائر) :[الحق أن الجزائريين قد قتلوا لغتهم بأيديهم وما كان الاحتلال إلا جوا مساعدا على ذلك، لأنهم لو أرادوا أن يحبـوها ما كـان أحد ليصدهم عن ذلك ولو بذل كل العراقيل، وإرادة الأمم لا تقاومها إرادة الحكومات، وكان من الممكن للأدباء أن يعلموا أبناءهم العربية ولو بمشقة ومكابدة](1).

هل غلبت علينا شقوتنا وأصبحنا قـوما بوراً..؟.. وهل نحن سائرون في طريق تبنـي لغة المستدمر؟.. والتخلي عن اللغة العربية..؟..لغة الدين والقرآن التـي قال عنها "عثمان بن جنـي" :[إننـي إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة الكريمة اللطيفـة، وجـدت فيها من الحكمة والدقـة، والإرهاف والرِّقة ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح بـي أمام غلـوة السحر](2).

ألـم يحن بعد لبعض الهيئات أو بعض الجمعيات الجزائريـة الغيـورة على لغتها ووطنيتـها وتراثـها وبالخصـوص "المجلس الوطنـي للغـة العربيـة" أن تتكفل باللغة العربية وتوجيهها وترقيتها وإصلاح الأخطاء التـي وقعنا فيها، أم أن سفينة اللغة العربية في الجزائر تقاذفـتها الأمواج، وتكسر شراعها، وتحطمت دفتـها، ولم يستطع ربانها السيطرة عليها، فتاهت في البحر ولم تجد مرفأ تلجأ إليه...؟

الهوامش:

(1) المغرب العربي تاريخه وثقافته: للأستاذ الأديب رابح بونار (ص.7) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع1981.

(2) ابن جنـي: الخصائص دار الـهدى بيروت (ص 47).

رسالة من المدينة المنورة (10)

الدكتور يحي بكلي الجزائري*

ما لنا لا نحافظ على المكتسبات؟

منظر حلقات الطلاب حول المعلمين في جنبات المسجد النبوي منظر جدا رائع يذكرك بالصحابة وهم يأخذون القرآن والحديث وعلومهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وعن كبار الصحابة الذين أنتجوا التابعين وتابعيهم. في المسجد النبوي معهد يسمى معهد الحرم يقدم برنامجا تربويا شاملا من التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي وذلك كل يوم ماعدا الخميس والجمعة ابتداء من الثامنة صباحا بين باب الملك سعود و باب قباء، وقد لاحظنا بحكم مهنتنا أن طلاب المعهد لهم قاعدة علمية أقوى من طلاب الجامعة. وقد نفسر ذلك بالنية والإرادة الصادقة التي يصطحبها طالب العلم في التلقي، والحافز الإيماني الذي يغذي المعلم حيث أنه يدرك أنه في مسجد رسول الله، وأنه بمثابة أولئك الصحابة الذين كانوا يلقنون العلم لتلامذتهم، ولما تمعنت في ذلكم المنظر الجميل ذات صباح تذكرت مدارس التعليم الأصلي في الجزائر أيام الشيخ مولود قاسم -رحمه الله- الذي كان مؤمنا بضرورة تلقين اللغة العربية تلقينا قويا رصينا، باعتباره مفتاحا كبيرا لعلوم القرآن والسنّة، كما تذكرت مدارس التعليم الحر في وادي ميزاب وعلى رأسها معهد الحياة بالقرارة والتي بلا شك استلهمت كثيرا من تجربة جامع الزيتونة، وذلك بفعل البعثات العلمية للزيتونة بتونس أيام الاستعمار الفرنسي، ولا شك أن هاته المدارس قد أنتجت في وقت من الأوقات جيلا قويا من حيث قاعدته اللغوية والعلوم الشرعية..ولما تذكرت ما آل إليه المستوى اللغوي والعلم الشرعي للأجيال الحالية، قلت في نفسي سبحان الله نحن في الجزائر عندنا موهبة عجيبة في التخلّي عن المكتسبات بل وفي تحطيمها، كما أناشد التربويين والجامعيين المتخصصين إلى إجراء دراسات معمقة في هاتين التجربتين الجزائريتين من الناحية التاريخية ومن الناحية التربوية وتقييمها من أجل استخراج نقاط القوة فيها والأخطاء التي ارتكبتها، وكيف يمكن إعادة بعث فكرة التعليم الأصلي وتصدير تجربة معهد الحياة إلى المدن الجزائرية. فهل من ملتقط للفكرة؟

د. يحي بكلي
المدينة المنورة
08 جمادى الأولى 1434
ybakelli@hotmail.com

في المذكرة العالقة

«السياســـة» و «البوليتـــك»!..

أ.د.فوزي اوصديق
oussedik@hotmail.com

فرق المفكّر الجزائري مالك بن نبي بين مصطلحي السياسة والبولتيك، فالمصطلح الأول علم ذو مرامي وقواعد محددة، أما المصطلح الثاني فيغلب عليه الطابع الغلامي، والقيل والقال، وكلام المقاهي والطبخات!

يبدو أن حياتنا السياسية يجب أن ترتقي في تعاملها مع العديد من الملفات الحساسة لهذه المرتكزات الأخلاقية السياسية وليس السياسوية.

فالسياسة آلية لهدف أسمى، وهو الارتقاء بالمجتمع، وليست وسيلة للاسترزاق أو للتوظيف المهني، وعليه فإن العديد من القيم النبيلة، قد تم تحويرها وتشويهها، ومن أمثلة ذلك، أن التجرّد في النضال أصبح خامة منعدمة، إن لم أقل غائبة، فأصبحنا نسمع عن "الموظف المناضل" وما أكثرهم في زمن الرداءة بدلاً من الموظف النزيه.

وكل هذه التوصيفات، ما هي إلا أثر من آثار "البولتيك" وليس لها علاقة بـ"السياسة".

فرجل السياسة، عادةً ما يكون له مواصفات رجل الدولة، يعطي دون أن يأخذ، أو يحاول الأخذ بقدر ما يعطي، كأدنى احتمال على غرار رجل البولتيك.

فساحتنا السياسية، يجب أن تُعاد هيكلتها فكرياً وقيميا؟!

وأول ذلك إرساء مبدأ "لو دامت لغيرك لما وصلت إليك". وذلك من خلال التجديد، والتداول، وليس التدوير، واعتبار أن الكل خادم وليس مخدوما.

إن السياسة فن وعلم وثقافة، قبل أن تكون مناورة وابتزاز واسترزاق.

رحم الله مالك بن نبي، الذي نبّه لهذه الانزلاقات الممكن حصولها في ظل غياب ثقافة سياسية وديمقراطية داخل المجتمع.

كانت هذه مجموعة من الأفكار حاولت الاسترشاد والتذكير بها، في غمرة الاستحقاقات المقبلة، وما تشهده الساحة السياسية من تحديات، فالقانون وحده لا ينشئ مجتمعا ما لم توجد به ثقافة وممارسة ترشده، وقدوة توجهه، فهذه البوصلة أساسية لأي عمل نزيه وجاد.

وما نريد إلا الاصطلاح ما استطعنا. وما توفيقي إلا بالله .

شرعـــــــة الحـــــرب في الإســـــلام

بقلم: الشيخ البشير الإبراهيمي* -رحمه الله-

من لوازم الحرب سفك الدماء، والدماء في الإسلام محترمة معصومة إلا بحقها، وليست عصمة الدماء خاصة بالمسلمين في حكم الإسلام، بل مثلهم في ذلك ثلاثة أصناف من الكتابيين وهم:

الذميون الذين استقروا في دار الإسلام وفي ذمته.

والمعاهدون الذين استقروا فيها بعهد محدد بأجل.

والمستأمنون وهم كل من دخلها بأمان مؤجل أو غير مؤجل.

فهذه الأصناف دماؤهم معصومة كدماء المسلمين، ولا يجوز للحاكم كيفما كانت سلطته أن يستبيح دم أحدهم إلا بحقه، وأول حق يكتسبه المسلم بإسلامه، أو الذمي ومن معه من الأصناف المذكورة - هو عصمة دمه وماله، فإذا سفك دم غيره عدوًا بغير حق، استُبيح دمه، ورُفعت العصمة عنه بما كسبت يداه، وإذا أخذ مال غيره بغير وجه شرعي أُخِذ من ماله بقدره من غير زيادة ولا إجحاف ولا ظلم.

فالحرب في الإسلام لا تكون إلا لمن آذنه بالحرب، أو وقف في وجه دعوته، يصدُّ عنه المستعدين لتلقيها، والإسلام في أعلى مقاصده يعتبر الحرب مفسدة لا تُرتكب إلا لدفع مفسدة أعظم منها، وأول مفسدة شُرعت الحرب لدفعها مفسدة الوثنية، ومفسدة الوقوف في سبيل الدعوة الإسلامية بالقوة، ولو أن قريشًا لم يقفوا في طريق الدعوة المحمدية، وتركوها تجري إلى غايتها بالإقناع لما قاتلهم محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم بدءوها بالعدوان والتقبيح، والحيلولة بينها وبين بقية العرب، والقعود بكل صراط لصدِّ الناس عنها.

ومن اللطائف الحكمية أن القتال لم يشرع في القرآن بصيغة (شرع) أو (وجب) أو غيرهما من صيغ الأحكام، وإنما جاءت الآية الأولى فيه بصيغة الإذن المشعرة بأنه شيء معتاد في الاجتماع البشري، ولكنه ليس خيرًا محضًا ولا صلاحًا سرمدًا، وإنما هو شر أحسن حالاته أن يدفع شرًّا آخر.

وما وقر في نفوس البشر أن بعض الشرور لا تُدفع بالخير، ولا تنقصم إلا بشرٍّ آخر. وإذا كانت الأحكام على الأشياء إنما هي بعواقبها وآثارها، فإن الشرَّ الذي يدفع شرًّا أعظم منه يكون خيرًا كقطع بعض الأعضاء لإصلاح بقية البدن، وكقتل الثلث لإصلاح الثلثين، كما يؤثر عن الإمام مالك، قال تعالى:

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ..} [الحج: 39، 40]

ففي قوله تعالى: {يُقَاتَلُونَ} وفي قوله: {بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} وفي قوله: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ} بيان للشروط المسوغة للحرب في الإسلام، تحمل عليها نظائرها في كل زمان.

شرعت الحرب في الإسلام، أي أُذن فيها بدستور كامل للحدود التي تربطها، وتحدُّ أولها وآخرها، وتخفف من شرورها، وتكبح النفوس على الاندفاع فيها إلى الخروج عن الاعتدال وتعدي الحدود.

وإذا كان الإسلام الذي هو آخر الأديان السماوية إصلاحًا عامًّا لأوضاع البشر، فإن أحكام القتال فيه إصلاح وتهذيب لمسألة طبيعية فيهم وهي الحرب.

إن أحكام الحرب في الإسلام مثال غريب في تاريخ العالم: ماضيه وحاضره يصوِّر الحرب عذابًا خفَّفه الرحمة من جميع جهاته، ويتخلله الإحسان في جميع أجزائه، ولو وازناها بالقوانين المتبعة في الحروب إلى يومنا هذا، وقارنا أسبابها في الإسلام ببواعثها اليوم لوجدنا الفروق أجلى من الشمس.

ولو لم يكن من مظاهر العدل في الإسلام إلا قوانينه الحربية، لكان فيها مقنع للمنصفين باعتناقه، ذلك أن الحرب تنشأ عادة عن العداوات والمنافسات على المصالح المادية، والعداوة من عمل الشيطان، يوريها بين أبناء آدم ليرجعوا إلى الحيوانية الضارية التي لا عقل لها، ولا رحمة فيها، ولا عدل معها، فجاء الإسلام بتعاليمه السامية المهذبة للفطرة المشذَّبة للحيوانية، فحدَّدت أسباب الحرب وأعمالها تحديدًا دقيقًا، وحرَّمت البغي والعدوان، وقيَّدتها بقوانين هي خلاصة العدل ولبابه، حتى كأنها عملية جراحية تؤلم دقائق لتترك الراحة والاطمئنان العمر كله.

حرَّم الإسلام التعذيب والتشويه والمثلة في الحرب، أوصى بالأسرى خيرًا، حتى جعل إطعامهم والإحسان إليهم قربة إلى الله، أمر بألَّا يُقتل إلا المقاتل أو المحرض على القتال، أو المظاهر على المسلمين، نهى وتوعد عن قتل النساء والصبيان والشيوخ الهرمى والقعدة والرهبان المنقطعين في الصوامع، نهى عن عقر الحيوان المنتفع به، نهى عن إتلاف الزرع وإحراق الأشجار وقطعها، وما وقع ليهود المدينة إنما هو تصرف خاص لحكمة، لا تشريع عام للتشفي والانتقام، ووصية أبي بكر - رضي الله عنه - للجيش هي الكلمة الجامعة في هذا الباب، وهي التطبيق العملي لمجملات النصوص من الكتاب والسنة.

وما نسبة هذه الأحكام والآداب التي جاء بها الإسلام من قبل أربعة عشر قرنًا إلى ما يجري في حروب هذا العصر الذي يدعونه عصر النور والعلم والإنسانية والمدنية إلا كنسبة نور النهار إلى ظلمة الليل. أين ما يرتكب في حروب هذا العصر المدني من تقتيل النساء وبقر بطونهن على الأجنة، ومن قتل الصبيان والعجزة، وهدم البيوت بالقنابل الجوية والمدافع الأرضية على مَن فيها، ومِن هدم المعابد، ومن تسميم المياه والأجواء، وإحراق الناس أحياء، إلى القنبلة الذرية التي لا تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم؟

أين هذه الموبقات من تلك الرحمة الشاملة التي جاء بها الإسلام، والإسلام يعتبر السلم هو القاعدة، والحرب شذوذ في القاعدة؛ لأن الإسلام دين عدل ورحمة وعمران وعصمة في ما يسميه علماء الإسلام بالكليات الخمس وهي: الدين، والعقل، والعرض، والمال، والنسب.

والدين هو ملاك التهذيب النفسي، والعقل هو قسطاس الآراء التي تقوم عليها الحياة، والعرض هو مقياس الشرف الإنساني، والمال هو قوام الحياة، والنسب هو مناط الفخر، وملاك القوميات والنظام التفاضلي والتنافس المحمود، فإذا انهارت هذه الكليات ارتكست الإنسانية، وتردت إلى الحيوانية، فحاطها الإسلام بحصون من الأحكام المنيعة.

ولحرص الإسلام على السِّلْم جاءت آية الأنفال آمرة بالجنوح له كلما جنح له العدو حتى لا يُسبق المسلمون إلى فضيلة.

والإسلام يأمر بالوفاء لذاته، ويجعله من آيات الإيمان، وينهى عن الغدر، ويجعله شعبة من النفاق، يأمر بالوفاء حتى في الحرب التي هي مظنة الترخيص في الأخلاق، والتساهل في الفضائل، يقول تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ} [النحل: 91].

ويقول في وجوب انتصار المسلم للمسلم: {إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} [الأنفال: 72]، ويقول:{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال:58].

هذه هي آداب الحرب في الإسلام وأعماله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة ألقاها الشيخ من إذاعة صوت العرب
عام 1374هـ الموافق 1955م

الإضرار بالدِّين باسم الدِّين ووجوب ثبات المصلِحين*

بقلم/ الإمام الشهيد العربي التبسي رحمه الله

إن أخوف ما يخافه المسلمون الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم على دينهم، دعوى الدجاجلة الذين سيكونون بين يدي الساعة، أولئك النفر الذين جعلهم الله فتنة لمن لم يرد بهم خيرا، فلم يفقههم في الدين، وقد قضت سُنَّة الله أن يكونوا أتباع كل ناعق، وأنصار كل ضال، وعونا على الحق الذي لم يَصفُ يوم من أيامه من صراع الباطل وجلبه بخيله ورجله على كتائب الحق. وفي التاريخ-أثريا وغيره- عظات تملأ النفوس عبرة من أيام المعجزات والوحي.

فكم خلبت بهرجة الباطل من حجى، واستولت على ألباب، وأضلت من أمم لم ترزق توفيقا، ولا أعطيت استعدادا للفصل بين الحق والباطل، لقد كانت هذه السنة التي بثها الله في العالم لسرٍّ يعلمه، وغاية الناس إليها صائرون، عامة شاملة من أيام آدم حتى يرث الله الأرض ومَن عليها.

وإذا كلفت نفسك -أيها القارئ- قليلا من العناء، وحظا من العلم فانظر في تاريخ الأديان السابقة عن الإسلام، فإنك ولابد ستعود مقتنعا بأنها لم تسلم من الأوضاع التي لحقتها بعد أن كانت نقية بيضاء، ولا زالت تقبضها حتى أحالتها إلى تبديل كتبها وتغيير معالمها، وإحلال الشهوات وآراء الرجال وأهواء الشياطين، محل الهدى الإلهي. ولم يكن أهلُ هذه الملة لينجوا- مادام الشيطان، والحظوظ مرغوب فيها- بأنفسهم مما مكن الله منه الشيطان وأولياءه مما يدخله على الدين من انتحال المبطلين، وتحريف الضالين، اللهم إلَّا طائفة قد أخبر بها الصادق المصدوق أنها لا تزال على الحق، ولا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله وهي طائفة سائرة على ما كان عليه الصحابة اعتقادا وعملا.

ولسابق علم الله، وقديم قضائه، أخذت حميا ضلالات الضالين تدبُّ في عظام قوم ينتسبون إلى أهل هذه الملة، ويلقون على أنفسهم حِلَّة أهل الإسلام، ويزعمون لأنفسهم ما زعمه الأحبار والرهبان، فغلوا في هذا الدين مثل ما فعل أسلافهم من الأمم السابقة "لتتَّبعنَّ سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه " .

وما كان العالم البصير بالأديان ليخفى عليه أن الذين ألقوا بجرانهم على الأديان السابقة، وصيَّروها إلى كفر بواح هم كانوا أهل خصوصية بين أقوامهم، يصدرون عن آرائهم ويوردون، فلا عجب إذا أصبنا في أعز عزيز لدينا وهو ديننا الذي تولى الله حفظه من ناحية أناس يدعون لأنفسهم ما ادعاه الأحبار والرهبان.

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء الذين يريدون من علماء الدين أن يذعنوا لأباطيلهم، ويطأطئوا رؤوسهم أمام عظمة أهوائهم وما تضمنتها من عفونات مما يلقيه الشيطان عليهم رغم تعاليم الدين الذي يلعن من يكتم من الدين المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-. وكأنَّ هؤلاء لم يعلموا أننا لم نكتب ما كتبنا، وما كتبه إخواننا من أهل الدِّين والبصيرة النافذة لقضاء شهوة من الشهوات أو طلب ذخل من الذخول، ولنيل حظ من الحظوظ.

وأنَّ الله يعلم، والمسلمين يعلمون أنه لولا أنَّ الله تعالى أمرنا بأن نبلغ هذا الدين كما أخذناه، لا ننقص ولا نزيد، ولولا أننا نزحزح أنفسنا عن الذين يكتمون ما أنزل الله من البيِّنات والهدى، ما رضينا لأنفسنا أن نخاطب هذه الهلثاء التي لا فقه لها، ولكننا نثبت حيث أمرنا الله مستميتين في الدفاع عن الدين ولو قطعنا إربا إربا، أو رُمِي بنا في أتون، وإن نحن لقينا ما لقينا فحسبنا:

مـــا أنـــت إلا أصـــبع دميـــت
وفـي ســـبيل الله مـــا لقيـــت .

*** الشهاب: عدد 115، 29 سبتمبر 1927م.**

معالجات إسلامية

أعظم أمنية للمسلم

بقلم الشيخ الدكتور/يوسف جمعة سلامة*

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ ربيعة بن كعب الأسلمي – رضي الله عنه – قال : (كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم- فَأَتَيْتُه بوَضُوئه وَحَاجَته ، فَقَالَ لي : « سَلْ » فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّة ، قَالَ : « أَوَ غَيْرَ ذَلكَ؟ » ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ : « فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسكَ بكَثْرَة السُّجُود »)(1).

هذا الحديث حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه.

من المعلوم أن الإنسان في هذه الحياة خُلق لعبادة الله وطاعته كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إلا لِيَعْبُدُون}(2)، فالإنسان المؤمن يعلَم أن أعمار الأمة بين الستين والسبعين والقليل من يتجاوزها، لذلك فإن المسلم يجعل له في الحياة أمنية يرجو تحقيقها، فهو يسعى من أجلها، ويحرص على بلوغها، ويضحي بكل ما لديه للوصول إليها، فهل هناك أمنية أعظم من الجنة؟!

إن المسلم في هذه الحياة يعبد ربه آناء الليل وأطراف النهار، ويدعوه أن يحقق أمانيه بأن يجعله من أهل الجنة، ولكي يحقق الإنسان أمنيته يجب عليه أن يسير على الطريق الموصلة إلى الجنة، حتى يصل إليها بسلام إن شاء الله، فالجنة فيها مالا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وثمَنُ الجنة غال ونفيس، فقد عَلَّمنا رسولنا -صلى الله عليه وسلم- بأن الأمنية تحتاج إلى عمل مخلص، وطاعة صادقة، وعبادة موافقة للشرع، وصبر على مغريات الحياة حتى يفوز الإنسان بالجنة إن شاء الله، كما جاء في الحديث الشريف: (ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة)(3)، وقديماً قالوا: ومن يخطب الحسناء لم يغله المهر، فعلينا أن نعمل من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى، ومن ثمَّ نيل نعيمه وجنته {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا}(4).

ومما لا شَكَّ فيه أن كلَّ إنسان في هذه الحياة الدنيا يتمنى السعادة ويرجو تحقيقها، ويعمل ما وسعه الجهد لبلوغها، لكنْ وللأسف نجد أن البعض يقف عند حدود التمني فقط، ويريد أن يكون سعيداً دون أن يقوم بواجبه، ودون أن يبذل جهده، وهذا خطأ كبير كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (ليس الإيمان بالتمني، ولكنَّ الإيمان ما وقر في القلب وصَدَّقه العمل)(5)، وعند قراءتنا للقرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى يرشدنا إلى طريق الفوز بالجنة فيقول سبحانه وتعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}(6)، يقول صاحب كتاب صفوة التفاسير: («وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أي وأما من خاف عظمة ربه وجلاله، وخاف مقامه بين يدي ربه يوم الحساب، لعلمه ويقينه بالمبدأ والمعاد «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى» أي وزجر نفسه عن المعاصي والمحارم، وكفَّها عن الشهوات التي تودي بها إلى المعاطب «فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى» أي فإن منزله ومصيره هي الجنة دار النعيم، ليس له منزل غيرها)(7).

أمنية المسلم

لقد بشر القرآن الكريم المؤمنين الذين يطيعون الله ورسوله، بالثواب العظيم والنعيم المقيم، كما في قوله تعالى: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا}(9).

(فقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره سبب نزول هذه الآية، عن ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو محزون، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «يا فلان مالي أراك محزوناً؟» فقال: يا نبيَّ الله شيءٌ فكَّرتُ فيه، فقال: ما هو؟ قال: نحن نغدو عليك ونروح ننظر إلى وجهك ونجالسك، وغداً تُرفع مع النبيين فلا نَصِل إليك، فلم يرد النبي -صلى الله عليه وسلم- شيئاً، فأتاه جبريل بهذه الآية: {وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ}...الآية، فبعث النبي -صلى الله عليه وسلم- فَبَشَّره)(10).

أمنية عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–

إن بناء النفوس وتشييدها على أساس الحق، وتزكيتها بالصلاح والطهر، مطلب عظيم وغاية عليا وهدف من أعزّ الأهداف، فقد ورد أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقف في مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لبعض الصحابة: ليذكرْ لي كلٌ منكم أعظم شيء يتمناه، قال أحدهم: أتمنى أن يكون لي مثل أحد ذهباً أنفقه في سبيل الله، وقال آخر: أتمنى أن يكون لي مِلءُ المدينة خيلاً أغزو به في سبيل الله، وقال ثالث: أتمنى أن يكون لي ألفُ عبدٍ أعتقهم ابتغاء مرضاة الله، وأخذ كلٌ منهم يذكر ما يتمنى، وأمير المؤمنين يدير النقاش بينهم، ثم توجهوا إليه قائلين: فماذا تتمنى أنت يا أمير المؤمنين؟ قال عمر -رضي الله عنه-: أتمنى مِلْءَ هذا المسجد رجالاً أمثال أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-!!

لقد أصبت كبد الحقيقة يا أمير المؤمنين، فلو وُزن إيمان أبي بكر -رضي الله عنه- بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر على إيمان الأمة.

فأبو بكر الصديق -رضي الله عنه-: هو أول من آمن بالرسول -صلى الله عليه وسلم- من الرجال، والثاني معه في الغار، ومعه في الهجرة، وهو أول العشرة الذين بشرهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالجنة، وهو أول من أخرج أمواله كلها في سبيل الله، وأسلم على يديه عدد من الصحابة السابقين، ويكفيه -رضي الله عنه- شهادة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- له، حيث قال-صلى الله عليه وسلم-: (إن أَمَنَّ الناس عليَّ في صحبته، وماله: أبو بكر، ولو كنت مُتَّخذاً خليلاً غير ربي لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أخوَّة الإسلام ومودَّته(11)، وقوله -صلى الله عليه وسلم- أيضاً: (إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله)(1).

سجود الشكر

إن سجود الشكر سنّة عند تجدد النعم واندفاع المصائب، لما رُوي :(أن النَّبي - صلى الله عليه وسلم- كان إذا أتاه أمْرٌ يَسُّره أو يُسَرُّ به، خرَّ ساجداً، شكراً لله تبارك وتعالى)(13).

ولما رُوي عن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- خرج فاتبعتُه حتى دخل نخلاً فسجد، فأطال السجود حتى خِفتُ أن يكون الله قد توفاه، فجئتُ أنظر، فرفع رأسه، قال: (ما لك يا عبد الرحمن؟) فذكرتُ ذلك له، فقال: (إن جبريل -عليه السلام- قال لي: ألا أبَشِّرُك؟ إن الله عز وجل يقول لك: من صَلَّى عليك صَلَّيْتُ عليه، ومن سَلَّمَ عليك سَلَّمْتُ عليه، فسجدتُ لله عزَّ وجلَّ شكراً)(1)، فكل مسلم أكرمه الله بنعمة -كإنعام الله عليه بولد، أو مال، أو جاه، وغير ذلك، أو أنجاه الله من هلاك أو بلاء أو مرض، أو عاد إليه غائب ونحو ذلك-، عليه أن يسجد شكراً لله عز وجل، لأنه وحده المنعم{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ}(15)، فقد ورد أنَّ أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- سجد حين جاءه قتل مسيلمة، كما وسجد علي بن أبي طالب حين رأى ذا الثُّدَيَّةِ (رجل من الخوارج) في قتلى الخوارج، كما وسجد كعب بن مالك حين بُشِّر بتوبة الله عليه.

طريقك إلى الجنة

ونتعلم من حديث ربيعة السابق أهمية السجود في الصلاة والحث على الإكثار منه والخشوع فيه، كما جاء في الحديث عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رَسُولَ الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: «عَلَيْكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ لله، فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لله سَجْدَةً إلا رَفَعَكَ الله بهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بهَا خَطِيئَةً»(16)، ومن معاني السجود الخضوع والانقياد لأوامر الله عز وجل وطاعته سبحانه وتعالى في السرِّ والعلانية، وهذا ما يتفق مع معنى الإسلام المتمثل في الاستسلام والانقياد لله عز وجل، لذلك فإن السجود لله في الصلاة والتزام الطاعة في جميع الأوقات، هما طريق النجاح والفوز برضى الله سبحانه وتعالى.

اللهم إنا نسألك الجنة ونعيمها، وما يقرب إليها من قول أو عمل

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الهوامش :

-1 أخرجه مسلم
-2 سورة الذاريات الآية (56)
-3 أخرجه الترمذي
-4 سورة الإنسان الآية (12)
-5 أخرجه مسلم
-7سورة النازعات الآية(41-40)
-8 صفوة التفاسير للصابوني 3/516
-9 سورة النساء الآية (70-69)
-10تفسير القرآن العظيم لابن كثير 1/695
-11 أخرجه البخاري
-12 أخرجه البخاري
-13 أخرجه ابن ماجه
-14 أخرجه الإمام أحمد
-15 سورة إبراهيم الآية (7)
-16 أخرجه مسلم

* خطيب المسجد الأقصى المبارك
وزير الأوقاف والشئون الدينية السابق
www.yousefsalama.com

ما قل ودل

إن الدين يسر

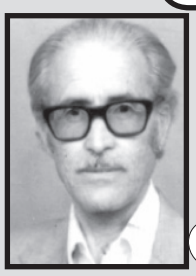

الأستاذ: محمد الصالح الصديق

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وابشروا، واستعينوا بالغدوة، والروحة وشيء من الدلجة» (رواه البخاري).

المراد بالدين الإسلام، والغدوة، سير أول النهار (والروحة) آخر النهار (والدلجة) آخر الليل.

ومعنى الحديث، إن الدين الإسلامي ذو يسر، لا يتعمق أحد في العبادة ويتنطع فيها، ويترك الرفق كالرهبان في الصوامع، والعباد في المساجد، الذين أعرضوا عن الدنيا وانقطعوا للعبادة -إلا أصابه كلل وملل، وعجز عن مواصلة العبادة، فالحكمة التزام السداد فلا إفراط ولا تفريط، والاستعانة على مداومة العبادة بالقيام بها في أوقات النشاط كأول النهار وبعد الزوال وآخر الليل.

قال البيضاوي: الروحة، والغدوة والدُّلجة، استعير بها عن الصلاة في هذه الأوقات، لأنها سلوك وانتقال من العادة إلى العبادة.

وفي رياض الصالحين: «وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه استعينوا على طاعة الله -عز وجل- بالأعمال في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم، بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون، وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصل المقصود بغير تعب».

قال في الفتح: وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل والمبالغة في التطوع، المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته.

وفي هذا الحديث -كما قال ابن المنير- علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع.

أجل عرفت شخصا في بداية استقلالنا كان قبل الثورة وفي خلالها يمارس أنواعا مختلفة من المحرمات بعضها من الكبائر، ولما تقدمت به السن، ورأى أن ينهي صحبته مع الشيطان أعرض عن الدنيا وانقطع إلى الآخرة، فكان يقوم الليل ويصوم النهار، وكان لا يتناول من الطعام إلا قليلا، أما زوجته فقد هجرها لينقطع إلى العبادة، فالتقاني يوما وحدثني عن توبته وطريقته في العبادة فهنأته عن توبته، وانفلاته من الشيطان، بعد أن قيده بالسلاسل والأغلال، ونصحته أن يقتصد في العبادة، فخير الأمور أوسطها، ولكنه رفض معللا ذلك بأن ما بقي من عمره قليل لا يكفي لقضاء ما عليه من الديون، وعمل ما يقربه من الله تعالى من النوافل والطاعات.

ولكني حذرته من مغبة هذا التشدد في العبادة، ورسمت له خطة قويمة، ولكن الرجل تصلب وأبى إلا أن يظل على نظامه الأهوج!

وبعد أشهر بلغني أن الرجل قد ترك حتى الفرائض، لأنه لم يعد يطيقها بعد أن هزل جسمه، وخارت قواه!

من أدواء الرجال

الإمام الشهيد العربي التبسي

لا تنس يا بني أن الحق في هذا العصر محتاج في انتصاره على الباطل إلى أن يكون أقوى من الباطل، ومزودا بجميع الوسائل التي حازها الباطل، وله من السمعة والانتشار ما يعينه على مقاومة الباطل.

الآثار العلمية للشيخ المصلح الجيلالي الفارسي

إنّ الشيخ الجيلالي الفارسي من جملة آلاف العلماء والمصلحين الذين عملوا على إصلاح أوطانهـــم والنهوض بها، وتوجيه أبنائها وتخليصهم من رواسب التحجر والتخلف، والدليل على ذلك آثاره العلمية ومقالاته الإصلاحية الهادفة، التي كان ينشرها في شتى صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن جملة آثاره ما يلي :

إعداد : جمال قاسم

رسم الشيخ الجيلالي الفارسي للمصحف الشريف

إن حفظ الشيخ الجيلالي الفارسي للقرآن الكريم كاملا جعله يفكر في رسمه بخط يده، وفعلا شرع الشيخ في إنجاز المشروع سنة 1929، إلا أن بلوغه السن القانونية للتجنيد الإجباري الذي فرضه المستعمر على الشباب الجزائري حال دون الاستمرار فيه فتوقف المشروع إلى حين انتهائه من الخدمة العسكرية.

وعند ما انقضت مدة تجنيده باشر في تكملة رسم المصحف الشريف، وختمه ليلة الثامن من جمادى الأولى سنة 1956 الموافق لـ 1933، وقد أهدى كتابة الصفحة الأولى للشيخ الجيلالي بن الطاهر تبركا به، فكتبها هذا الأخير تشجيعا له، ولا تزال عائلة الشيخ تحتفظ بهذا المصحف إلى يومنا هذا .

إنتاجه الفكري

كانت للشيخ الجيلالي إبداعات في مجال الشعر، كما كانت له اهتمامات في مجال النثر، وخاصة هذا الأخير الذي له فيه إنتاج غزير، فقد كانت له العديد من المقالات الدينية والثقافية والاجتماعية، نشرها في شتى صحف جمعية العلماء المسلمين كالشهاب والبصائر، وجريدة المنار لصاحبها محمود بوزوزو، بالإضافة إلى جريدة الزهراء التونسية.

أ/ المقالات:

إن مقالات الشيخ الجيلالي الفارسي يمكننا أن نقسمها إلى المقالات المناسباتية والمقـــالات الأدبية والعلمية:

- مقالات المناسبات:

كان الشيخ الجيلالي الفارسي يكتب هذا النوع من المقالات لمناسبة أو حدث معين، فيأتي المقال على شكل تقرير صحفي وصفي، ومن هذا القبيل نجد المقالات الآتية:

-يوم المولد النبوي الشريف:

يحث الشيخ الجيلالي الفارسي ـ في مقاله هذا ـ المسلمين على ضرورة حب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يكون ذلك إلا بإحياء ذكرى مولده التي هي ذكرى مولد الإخاء والعمل الجاد والنصر المبين كما يقول الشيخ. وينبه إلى أنه لا ينبغي أن نعظم هذا اليوم المبارك الأغر بإلقاء القصائد المولدية أو تزيين الموائد، وإنما يجب أن نعظمه بصالح العمل ليكون عملنا الصالح ترجمانا صادقا لما تنطوي عليه أفئدتنا من محبة هذا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويختم مقاله بنصيحة جليلة وجهها لنا نحن الشباب خاصة فيقول: «أدعوك أيها الشباب الجريء المقدام، لأنني أتيقن بتثقفك ثقافة حرة، وارتوائك من مناهل العلم العذبة، وتذوقك لمعنى الحياة الحقة، قد نفضت عنك غبار الكسل المميت، ونزعت من عقلك المتقد دثار التقليد المقيت.

واعلم أنك لم تعظم هذا اليوم السعيد لذاته بل لأنه يوم ولد فيه نبي الحرية ورسول الحق والعدل والمساواة. .

- خطبة الشيخ الجيلالي الأصنامي:

من أبرز الأحداث التاريخية الخالدة في حياة الإمام ابن باديس الحفل الختامي المقام بقسنطينة بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم، وقد ختم درس التفسير في الجامع الأخضر في مدة 29 سنة، وكان يلقيه إثر صلاة العشاء في كل يوم عدا يوم العطلة وأيام تغيبه لمهام الأمة ومصالحها، ولأهمية الحدث أعدت الهيئات المعنية العدة لإقامة الحفل بهذه المناسبة، وحاولت جهدها أن يكون في مستوى الحدث ما استطاعت، وأقبل على الحفل أبناء الجزائر من مختلف الأرجاء والأصقاع تحدوهم الرغبة في المشاركة في عرس الإسلام وعيد الإسلام، وتكريم رجل القرآن والإسلام.

وقد غاب عن هذا الحفل الجيلالي الفارسي إذ كان آنذاك طالبا في جامع الزيتونة، إلا أنه ألقى خطبة بهذه المناسبة مشيدا بأستاذه فيقول: «...فليسجل التاريخ هذه المفخرة الخالدة والذكر المتجدد لفخر الجزائر وزعيمها الأكبر أستاذنا الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس بمجلة الشهاب الغراء، فهي ذات الخطو الأوسع والباع الأطول في إبلاغ هذا النور الإلهي للمسلمين في هذا القطر وفي غيره وفي حمله إلى الفلاح في حقله، وإلى التاجر في دكانه، وإلى المعلم في مكتبه حتى سرت الهداية القرآنية في نفوسهم سريان الأرواح في الأبدان والماء في العيدان.

-ختم موطأ مالك بن أنس:

هو مقال يصف فيه الحفلة التي أقيمت بمناسبة ختم الشيخ ابن باديس لكتاب الموطأ، فاستهل مقاله بالحديث عن حال الأمة الجزائرية ووضعها المزري، ثم الطرق الناجعة لمعالجة أمراضها، وذلك بامتثال أحكام الكتاب والسنة وهدي السلف، كما تحدث عن فضائل كتاب الموطأ من كلام الأئمـــة، وبعدها عرج للوصف الحي لسير الحفلة من بدايتها وحتى نهايتها فيقول: «قبيل الاحتفال وجهت مراسيم الدعوة الخاصة للعلماء والأدباء والأعيان من عمالة قسنطينة مصحوبة ببيان الزمان والمكان، وتألفت لجنة أدبية للنظر في شؤون الحفلة، وكانت متشكلة من الأديب الناشط السيد أحمد بوشمال مدير مجلة الشهاب الغراء، وأساتذة مدرسة التربية والتعليم، وكانت هذه السطور. وفي قاعة مكتب المدرسة قررت اللجنة برنامجها الأدبي مساء يوم الاثنين على الساعة الثامنة وما كادت الشمس تجنح للغروب أصيل يوم الأربعاء حادي عشر ربيع الثاني حتى تقاطرت وفود الدعوة على مدرسة التربيـــة والتعليم المحروسة، حيث وجدوا إخوانهم القسنطينيين ينتظرون قدومهم السعيد بمزيد التشوق، فتهللت الوجوه، وتفتحت الشفاه ببسمات المودة واللقاء، ونطقت الألسنة بالتحيات المباركة والترحيبات القلبية، تعانقت الأرواح قبل الأشباح وتكاملت الوفود في المدرسة.»

ثم يصف قائلا: «ولما اتسقت قلائد الحلقات واكتمل نظام الصفوف وعلت السكينة وساد السكوت كأن على الرؤوس الطير، طلع الأستاذ من مقصورته كالبدر ليلة تمامه في موكب من الجمال الإلهـــي والجلال النبوي، فاشرأبت الرؤوس لطلعته المباركة، وتطلعت النفوس، فاعتلى كرسي الدراسة وأنشأ ينشر على مستمعيه تلك الدرر الغالية والحكم البالغة بفصاحة نادرة وبلاغة ساحرة ونبرات موسيقية تمزج الماء بالراح، فهز النفوس بعطاءاته الحسنية وخلب العقول بتحقيقاته العلمية وأبحاثه النفسية».

- احتفال رائع تقيمه مدرسة ابن خلدون بالأصنام:

بمناسبة المولد النبوي الشريف يصف الشيخ الفارسي في هذا المقام تفاصيل احتفال مدرسته بذكرى المولد، مبتدئا بشرح الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت عليها مدينة الشلف، في ظل الاستدمار ودور الحركة الإصلاحية في المنطقة، خاصة بعد زيارة الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي لها، فيقول الشيخ الجيلالي الفارسي: «إن مدينة الأصنام (وهي نقطة مركزية في سهول الشلف الخصيبة، ومحطة وسطية بين مدينتي الجزائر ووهران) قد كانت كأغلب مدن القطر ليس فيها أي حركة علمية وليس بها أي أثر للتعليم العربي الإسلامي، بل هي من المدن التي أناخ عليها الاستعمار الأوربي بكلاكله وابتز كل ما حولها من السهول الخصبة...»

ثم يضيف قائلا: «وتم ـ و الحمد لله ـ لجمعية العلماء ما أرادت من إرجاع هذه المدينة الجليلة إلى حظيرة الإسلام وأحضان العروبة حتى قال الأستاذ الرئيس الشيخ البشير الإبراهيمي جادا في شكل متفكه:

وهذه مدينة الأصنام قد هجرت عبـــادة الأصنام.

لقد شهدت هذه المدينة احتفالات رائعة وذكريات ساطعة، ولكنها لم تشهد في تاريخها العلمي حفلة أروع وأبهر للعقول من حفلة المولد النبوي في هذه السنة، فقد كانت هذه الحفلة والتأثير والتأثر فوق الوصف ووراء التصوير .

- مقالات الفكر والأدب:

من هذه المقالات نجد مقال «الأدب في نظر أدعيائه» وهي مقالة أخلاقية كذلك، يشرح فيها معنى الأدب ووظيفته في الحياة، ويعرض فيها بأسلوب لاذع بالمنتسبين للأدب فيقول: «وهم ليسوا منه، ليس الأدب ـ يا هؤلاء ـ ما تظنون بل الأدب فوق ما في أنفسكم الصغيرة، وأعلى من هممكم الفاترة، وأرقى من مكسوباتكم الضئيلة، فإن كان لكن شيء في هذه الصناعة غير ما سمعنـاه فأتوا به وإلا فاعلموا أن بضائعكم قد نودي عليها بالكساد، فلن تروج بعد في أسواق الأدب ولن تنفق عند الأدباء.

- رسالة المعلم:

هي مقالة تربوية يشرح فيها الشيخ بفكر المتخصص والمطلع على وظيفة المعلم والسبل المثلى لإيصال المعرفة إلى الطلبة، بل ويتعداها إلى وظيفته في الحياة وواجبه تجاه أمته فيقول: «إن رسالة المعلم هي أشرف الرسالات وأعمها، وأقدس الواجبات وأنفعها، لأن المعلم هو الأساس لكـــل حياة والوسيلة لكل سعادة، فما هي رسالة المعلم في أمته، وما هي قيمتها في الحياة؟ للإجابة على هذا السؤال ينبغي أن نحلل رسالة المعلم تحليلا منطقيا يتناول أجزاءها بالدرس والتمحيص، ويجلي معناها بالشرح والبيان، ويظهر من مزاياها الجليلة، وغايتها الشريفة بالدليل والبرهان، وأجزاؤها ثلاثة هي: الرسالة والمعلم والتعليم الذي هو مصدر اشتقاق للمعلم...»

ثم يضيف قائلا مبينا الغاية من رسالة المعلم: «فرسالة المعلم التي هي تعليم وتثقيف وتهذيب ـ هي التي تبعث الأمة من مرقدها ـ وتخرجها الطبيعي الساذج إلى وجودها الاجتماعي والسياسي الكـامل، ولذلك قال شوقي رحمه الله:

قم للمعلم وفيه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

-العبرة من درس وحي الهجرة:

هو مقال أدبي يبدي فيه مدى تأثره بكتاب «وحي القلم» وإعجابه بصاحبه الأستاذ مصطفى صادق الرافعي الذي يصفه بفيلسوف الإسلام، فيقول مشيدا بالكتاب وصاحبه: «أسعفني القدر بالإطلاع على كتاب وحي القلم، فإذا هو وحي النفس العالية، والوجدان المقدس يسمو بروحانيته إلى الملكوت الأعلى، ويعلو بمواهبه الإلهية في معارج التقديس الإنسانية، وإن كانت النبوة برزخا بين الإنسانيتين، وفيلسوف الإسلام يفسر نبي الإسلام فيفيض على العالم الصاخب أسرار الحياة الخالدة، ويلقي على البشرية الطاغية دروسا عميقة المغزى في معاني الرجولة الكاملة، والشجاعة النادرة، والصبر الصابر في أسلوب من البيان هو معنى الشجاعة والبطولة، ونمط من التعبير الصادق هو معنى الإعجاز في أوسع معانيه، وضرب من الاستدلال العقلي هو معنى المنطق الرصين في أبلغ مقاصده».

-استفتاء هام في قضية الإخاء:

ساهم الشيخ الجيلالي بمقال حول قضية الإخاء التي طرحها الأستاذ محمود بوزوزو صاحب جريدة المنار، وقد شارك في هذه القضية شخصيات عديدة منها الشيخ العربي التبسي ومحمد خير الدين من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأحمد مزغنة ومصطفى فروحي عن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، والدكتور أحمد فرانسيس وقدور ساطور عن الإخاء الديمقراطي للبيان الجزائري وغيرهم.

فطرحت ثلاثة أسئلة جاءت على النحو الآتي:

- هل تعتقدون أن الإخاء في الجزائر ممكن؟
- على أي أساس؟
-ما هي وسائل تحقيقه؟

فبادر الشيخ الفارسي بمقال مبديا فيه رأيه حول قضية الاخاء فيقول: «نعم أعتقد أن الاخاء في الجزائر ممكن، ودليل إمكانه وقوعه بالفعل ولو جزئيا، لكنه عسير بعض الشيء، وسبب العسر يرجع إلى ما استحكم في النفوس من العصبيات الحزبية..ويجب توجيه جميع الجهود الفردية والجماعية العلميـة والعملية والنظرية إلى هدف واحد، هو تحقيق تلك المصلحة العليا للجزائر».

- والله لو وضعوا الشمس في يميني:

وهي مقالة كتبها الشيخ إبان الثورة التحريرية سنة 1956 يدعو فيها المجاهدين إلى الصبر والثبات على مبدئهم، وعدم الضعف أمام المساومات والإغراءات، والإقتداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ثباته وصموده، وبالصحابة والمجاهدين الأوائل في معاركهم وفتوحاتهم، فيقول: «هذه الكلمة الصريحة الخالدة هي التي حطمت عروش الظلم والاستبداد، وزلزلت صروح القهر والاستعباد..وهي التي قادت جيوش المؤمنين الباسلة إلى الظفر والنصر المبين في جميع المعارك التي خاضوها ضد قوى الشر والتسلط والعدوان، لإعلاء كلمة الحق، وتخليص الإنسانية المعدية من براثن الذل والعبودية ...

وهي التي كانت شعار أبطال الإسلام الخالدين في بدر وأحد والقادسية واليرموك وشمال إفريقيا وجبل طارق وغيرها في ميادين الكفاح والنضال، وهي التي ستلهب اليوم -إن شاء الله- شعلة الإيمان والبطولة والحماس في نفوس أولئك المجاهدين في سبيل الله من أجل العدالة والسلم والحرية والاستقلال، وستقودهم حتما إلى الظفر والنصر المبين إن شاء الله ولينصرن الله من ينصره ـ

الأعمال الشعرية:

للشيخ الجيلالي الفارسي ثلاث قصائد شعرية، يبدو أسلوبه في بعضها متأثرا بلغة الفقهاء، أما البعض الآخر فقد كتبها بروح الشاعر المصلح والناقد الثائر على الأفكار الهدامة والتي لا تمت إلى الهوية الجزائرية العربية المسلمة بأي صلة، ومن بين هذه القصائد التي نظمها الشيخ النماذج الآتية:

- وهيأت جيلا لأمر عظيم:

وهي قصيدة قالها الشيخ في ذكرى وفاة الشيخ ابن باديس سنة 1949 وهي من أجمل وأروع قصائده التي تبدو فيها ملامح الشاعر المتمكن من قيادة القصيدة والسير بها إلى غرضه، وفي هذه القصيدة يترحم على ابن باديس ويعدد آثاره وفضائله على الأمة الجزائرية، كالمدارس التي أنشأها لتعليم البنات والبنين، ثم يدعو الشعب الجزائري إلى المحافظة على تراث هذا الإمام العظيم، وتأسيس الدولة الجزائرية على أفكاره ونهجه، وتقع هذه القصيدة في ستة وعشرين بيتا «26» ومطلعها البيت كالآتي:

لك المجد ـ عبد الحميد ـ العظيم
فقد كنت للشعب طودا جسيما

- قصيدة إسلامنا الخالد:

هي قصيدة كتبها الشيخ بعد الاستقلال ، يعدد فيها مزايا الدين الإسلامي، ومنها أنه منهج رباني لا ترقى إلى كماله وشموليته وعظمته الأفكار والمذاهب الوضعية التي صاغها الفكر البشري، ويحمل فيها على الأفكار الاشتراكية الماركسية والتي يصفها بالشرك والضلال والإلحاد والفساد وأنها سم الشعوب، فهو لذلك يدعو إلى نبذها ومحاربتها والاعتصام بالقرآن والسنة النبوية، وتقع القصيدة في أربعة عشر بيتا ومطلعها البيت الآتي:

إسلامنا الخالد علم وعمل
ومنهاج للحياة مكتمل

-السور المدنية:

هي قصيدة على بحر الرجز الذي يستعمله الفقهاء ورجال الدين في متونهم العلمية والفقهية، يعدد فيها الشيخ السور المدنية وتقع القصيدة في 10 أبيات مطلعها:

يا سائلي عن السور المدنية
خذها بعـون الله مـستبية
بقر عمرانهـم ثم النسـاء
ومائدة الأنفال توبـة عسى
رعد وحج ثم نور قد سطـع
هزمة الأحزاب أمر قد وقع

- شروحاته وتحقيقاته العلمية:

كان الشيخ الجيلالي الفارسي من المولعين بكتابات الشيخ الإبراهيمي والمتتبعين لآثاره العلمية والأدبية، وقد أشاد به وبآثره في أكثر من موضع من مقالاته، وقد دفع حب الشيخ الفارسي للإبراهيمي إلى اقتفاء آثاره النادرة وتحقيقها وشرحها والسعي في طبعها ونشرها ومنها:

- رسالة الضب: هي رسالة أدبية بعث بها الشيخ الإبراهيمي من منفاه في آفلو إلى الأستاذ أحمد قصيبة في الأغواط يقول الأستاذ أحمد قصيبة عنها: «وبقيت نسختها الأصلية ـ يقصد رسالة الضب ـ عند الشيخ العلامة نعيم النعيمي ـ رحمه الله ـ مدة طويلة حتى كدت أفقده وجاءني الأستاذ الشيخ الجيلالي الفارسي الشلفي إلى منزلي بالأغواط وبات عندي ليأخذ النسخة الأصلية لينقلها ويحققها كما قال وأرجعها لي في الحين بواسطة البريد المسجل.

-رواية الثلاثة للعلامة محمد البشير الإبراهيمي:

«ترك البشير الإبراهيمي في آثاره النفسية» رواية شعرية من أبدع الروايات التي قال عنها بلسانه: «لو نظمت هذه الرواية في عصور الإقبال على الأدب لطارت كل مطار، وتلقاها الرواة والنقلة بما تستحقه من إجلال، فهي رواية على الطريقة الإبراهيمية التي سلكت إليها أصعب السبل، فمن لزوم ما لا يلزم إلى أمثال سائرة إلى حكم عربية إلى لفظ بديع. وقد بذل الشيخ الجيلالي الفارسي جهودا في تعاليقه على معاني هذه الرواية، وفي هذا يقول هو نفسه في تقديمه للكتاب: «لقد بذلت ـ في خدمة هذا الأثر الأدبي الجليل وإعداده بصورة واضحة جلية تمكن من الاستفادة منه بيسر وسهولة ـ كل ما أملك من جهد كليل، ووقت قليل بحكم أنني موظف وأعمل ثمان ساعات يوميا عدا أعمالي الخاصة أخرج بعدها متعبا منهوك القوى البدنية والفكرية..كنت أنقل النص بكل أمانة، وأعلق على ما غمض من كلمات أو استبهم من معانيه ثم أكتبه بالراقنة على الورق «استانسيل» وهو أشق عملية، ثم أعود فأصحح النص مرة أخرى وأضبطه بالشكل التام لتسهل قراءته على كل قارئ، ويتيسر فهمه بدون صعوبة، ثم أسحبه، وهكذا سرت في إنجازه خطوة خطوة حتى من الله علي بإتمامه بالرغم من الوقت الضيق والعمل المرهق ولله الحمد والشكر.

وقد طبعت رواية الثلاثة وشملها الجزء الأول من آثار الشيخ البشير الإبراهيمي.

*** ملاحظة : لهذه الدراسة مراجع.**

قضايا فقهية معاصرة

استعمال مكبرات الصوت في الأذان

الدكتور: نايف بن جمعان الجريدان

مما لا شك فيه أن الأذان يترتب عليه الإعلام بدخول أوقات الصلوات المفروضة، كما يترتب على ذلك جواز الإفطار المبني على الإعلام بغروب الشمس ودخول وقت المغرب، أو لزوم الامساك في صيام رمضان المبني على الإعلام بطلوع الفجر الصادق ودخول وقت الفجر.

جاء اختراع مكبرات الصوت في العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي، وإذا كان اختراع مكبر الصوت من الأمور الحديثة المعاصرة، فإن استعماله يعتبر من الأمور المستجدة، وخاصة في البلاد الإسلامية.

ونجد أنه يُثار بين الفينة والأخرى الحديث عن استعمال مكبرات الصوت الخارجية في المساجد وما مدى مشروعية إذاعة الصلوات والقراءة والدعاء فيها خارج المسجد؟ وهل من المشروع استعمال مكبرات الصوت الخارجية لإسماع الناس في بيوتهم القراءة والذكر؟ أم إن المصلحة في قصر الصوت على من كان داخل المسجد؟

ولعل استعمال مكبرات الصوت يدخل في قاعدة المصالح المرسلة التي يجب ضبطها وعدم التوسع فيها من جانب كما لا يبالغ في إغفالها والمنع منها على الإطلاق من جانب آخر ولعل -أيضًا- استعمالها يدور على قاعدة مراعاة المصالح ودرء المفاسد.

-وفي نظري- أن هناك فرقا بين الأذان وغيره كالإقامة، والصلاة، والقراءة، والدعاء، والمواعظ، ونحوها، فكما هو معلوم أن الغاية من الآذان هي إعلام الناس بدخول وقت الصلاة ودعوتهم لحضورها، فالمصلحة حينئذ في استعمال المكبرات الخارجية؛ لأن الناس حينها يكونون خارج المسجد في بيوتهم وأسواقهم وأعمالهم، بينما الغاية من الإقامة والصلاة والقراءة ونحوها هي إسماع المأمومين خلف الإمام وهم موجودون حينها داخل المسجد فالمصلحة حينئذ تكون بالاقتصار على المكبرات الداخلية فحسب دون المكبرات الخارجية.

وهذا التأصيل يمثل الرأي الوسط في المسألة بين من سيمنع من استعمال مكبرات الصوت الخارجية في المساجد مطلقًا حتى في الآذان وبين من سيقول بجواز ذلك مطلقًا حتى في القراءة والدعاء ونحوها، وهذا الذي أختاره وذلك لما يأتي:

1. أن الأذان بواسطة مكبرات الصوت لا حرج فيه، لأنه وسيلة لإيصال الأذان إلى السامعين، والوسائل لها أحكام المقاصد، فرفع المؤذن صوته وتبليغه للناس أمرٌ مقصودٌ مطلوب، وما كان وسيلة إلى هذا المقصد فهو مطلوبٌ أيضاً.
2. أن استعمال مكبر الصوت في الأذان وغيره عسر استغناء الناس عنه حتى «عمت به البلوى» وشاع علمهم بذلك وانتشر، وأفتى بعض العلماء المعاصرين بجواز استعمال مكبرات الصوت في الأذان وغيره، وسكت الباقون مع الجزم باطلاعهم على العمل بذلك، وغلبة الظن باطلاعهم على فتوى الباقين، فلما سكتوا ولم ينكروا كان -في نظري- إجماعًا على جواز استعمال مكبرات الصوت في الأذان وغيره.
4. القاعدة الشرعية التي يذكرها العلماء في أن الأصل -والذي هو الجواز- في الأشياء الإباحة حتى يرد ما ينقل ذلك الأصل؛ فلما لم يُنقل عن هذا الأصل فيبقى على الجواز.
5. من المتقرر في قواعد الفقه أن الحكم يتغير باختلاف العمل، حيث كان يتم إسماع الأذان وغيره للناس مباشرة بمجرد رفع الصوت، ولم تكن تلك الآلات في زمن التشريع والأزمان اللاحقة، واستمر عمل المسلمين بدونها، ومع ظهور هذه الآلة في العصر الحديث وجدت الحاجة إلى استعمالها؛ لاتساع المساجد وكثرة المصلين، واتساع العمران مما قد يصعب معه إسماع الأذان بدون استعمال هذه الآلة.

ولذلك فقد جاءت فتاوى كثير من العلماء المتأخرين موافقة لذلك ومبينة على تلك الاعتبارات.

الخلاصة:

جواز استعمال مكبرات الصوت في الأذان، أما غيره كالصلاة، والقراءة، والدعاء، والمواعظ، والدروس، والمحاضرات، ونحوها؛ فإن مرد الأمر في ذلك إلى تقدير المصالح والمفاسد المترتبة على ذلك، فإن كانت المصلحة الاقتصار على المكبرات الداخلية دون المكبرات الخارجية، فينبغي فعل ذلك وعدم الخوض والجدل والخلاف والفرقة في مثل هذه المسائل.

مفاهيم ومصطلحات

مفهوم القناعة في ميزان الشرع

بقلم الأستاذ: واضح عبد المالك

مما يتوهمه الدهماء من المسلمين أن القناعة أن يمتنع التاجر من تنمية تجارته، وألا يضرب المسلم في الأرض طلبا لرزقه، وألا يسعى المرء فيما يعود عليه بالنفع، وهذا كله وَهْمٌ وبلادة في المفهوم السليم للقناعة التي قصد إليها الشارع الحكيم، فكل ما ذكر مطلوب ومرغوب، وإنما الذي يتعارض مع القناعة أن يغش التاجر في تجارته، وأن يتسخط الموظف من مرتبته ومرتبه، وأن يتبرم العامل من مهنته، وأن يُنافق المسؤول من أجل منصبه، وأن يتنازل الداعية عن دعوته أو يميع مبدأه رغبة في مال أو جاه، وأن يحسد الأخ أخاه على نعمته، وأن يُذِلّ المرء نفسه لغير الله تعالى للحصول على مرغوب زائل. فليس القانع ذاك الذي يشكو خالقه ورازقه إلى الخلق، وليس القانع ذاك الذي يتطلع إلى ما ليس له، وليس القانع الذي يغضب إذا لم يبلغ ما تمنى من رُتَب الدُّنيا؛ لأن الخير له قد يكون عكس ما تمنى.

إنَّ القناعة لا تأبى أن يملك العبد مثاقيل الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ولا أن يمتلئ صندوقه بالمال، ولا أن تمسك يداه الملايين، ولكنَّ القناعة تأبى أن تلج هذه الأموال قلبه، وتملك عليه نفسه، حتى يمنع حق الله فيها، ويتكاسل عن الطاعات، ويفرط في الفرائض من أجلها، ويرتكب المحرمات من ربا ورشوة وكسب خبيث حفاظاً عليها أو تنمية لها.

فكم من صاحب مال وفير وخير عظيم رزق القناعة، فلا غَشَّ في تجارته، ولا منع أجراءه حقوقهم، ولا أذل نفسه من أجل مال أو جاه، ولا منع زكاة ماله؛ بل أدى حق الله فيه فرضاً وندباً، مع محافظة على الفرائض، واجتناب للمحرمات، إن ربح شكر، وإن خسر رضي؛ فهذا قنوع وإن ملك مال قارون.

وكم من مستور ملأ الطمع قلبه حتى لم يُرضه ما قسم له فجزع من رزقه، وغضب على رازقه، وبث شكواه للناس، وارتكب كلَّ طريق محرَّم حتى يغني نفسه؛ فهذا منزوع القناعة وإن كان لا يملك درهماً ولا فلساً. قام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- خطيباً في الناس فقال: «إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا أيس من الشيء استغنى عنه». وقيل لبعض الحكماء: ما الغنى؟ قال: قلة تمنيك، ورضاك بما يكفيك.

فالعز الحقيقي في القناعة، والذل في الطمع، ذلك أن القانع لا يحتاج إلى الناس فلا يزال عزيزاً بينهم، والطماع يذل نفسه من أجل المزيد؛ يقول الحسن رحمه الله تعالى: لا تزال كريماً على الناس، ولا يزال الناس يكرمونك ما لم تَعَاطَ ما في أيديهم؛ فإذا فعلت ذلك استخفُّوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك، ويقول رحمه الله: «إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله». فمن قنع برزقه شكر الله تعالى عليه، ومن تقالَّهُ قصَّر في الشُّكر، وربما جزع وتسخَّط، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس».

يقول أبو ذر -رضي الله عنه- قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر، أترى كثرة المال هو الغنى؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «فترى قلة المال هو الفقر؟» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب». وتلك هي الحقيقة لا مرية فيها؛ فكم من غني عنده من المال ما يكفيه وولدَه ولو عُمِّر ألف سنة؛ يخاطر بدينه وصحته، ويضحي بوقته يريد المزيد، وكم من فقير يرى أنه أغنى الناس؛ وهو لا يجد قوت غده، فالعلة في القلوب رضىً وجزعاً، واتساعاً وضيقاً.

كان -عليه الصلاة والسلام- أكمل الناس إيماناً ويقيناً، وأقواهم ثقة بالله تعالى وأصلحهم قلباً، وأكثرهم قناعة ورضى بالقليل، وأنداهم يداً، وأسخاهم نفساً، حتى كان يفرِّق المال العظيم من الإبل والغنم ثم يبيت طاوياً، وكان الرجل يُسْلم من أجل عطائه -صلى الله عليه وسلم- ثم يحسن إسلامه. والله ولي التوفيق.

خطبة الأسبوع

المؤمن القوي

بقلم: عمّار رقبة الشُّرفي

• **الحمدلة:**

الحمد لله القوي المنان، نصر الإسلام باللّسان والسنان، وحبّب إليه القوي وبغّض إليه الكسلان.

الشهادتان:

المؤمن القويّ أحبّ إلى الله من الضّعيف، والعجز سلاح الضّعف، واللوم مفتاح الشيطان، والاتعاظ والإقدام نهج الرحمن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ ».

قوّة المؤمن مقرونة بالتّوكّل على ربّه، وعزّته منوطة باتباع شرع ربه:

يقول جلّ من قائل:{وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا}[إبراهيم: 12].

ويقول جلّ جلاله :{إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}[الأنفال: 49].

ينهى الإسلام أتباعه عَنِ التّبعيّةِ العمياء، وينأى بهم عن الدّنية الجهلاء:

يقول جلّ من قائل:{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: 14].

عَنْ حُذَيْفَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا أَلَا تَظْلِمُوا». مسند البزار

الخاتمة والدّعاء.

عن أنس أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسوء الأسقام» الحاكم والبيهقي.

شيبتني هود وأخواتها

من المعلومات التي تعرفونها، عن خلق الإنسان، أن في رأس كلِّ إنسان، من مئة ألفٍ إلى مئتين وخمسين ألفاً، من الأشعار، وأن الشعرة الواحدة، يزيد عمرها عن ثلاث سنوات.

وأن الإنسان، يحتاج إلى أن يجدد شعره بأكمله إلى مئتي يوم، وفي الإنسان، مصانع للشعر، يُعدد ما في جسمه من الشعر، كلُّ شعرةٍ لها مصنع، تنتج هذه الشعرة، وتنمو إلى أن تبلغ أشدَّها، ثم تهرم فتموت، ينقص أو يزيد عمر الشعرة عن ثلاث سنوات.

ولكلِّ شعرةٍ من هذه الأشعار، المئتين والخمسين ألفاً، وريدٌ، وشريانٌ، للتغذية، وعضلةٌ، للتحريك، تعملِ هذه العضلة أثناء البرد، ولكلِّ شعرةٍ من هذه الأشعار، عصبٌ يحرِّك العضلة، كي تنتصب الشعرة، ولكلِّ شعرةٍ، غدةٌ دهنيةٌ، وغدةٌ صبغية.

ولا يعلم الباحثون حتى هذه الأيام، لماذا يبيضُّ الشعر؟ لكن بعضهم يقول: إن ابيضاض الشعر، منشؤه عصبي، فالكريات البيض، تتسلل إلى الشعرة، فتأكل صبغها الأسود، والشيء القاطع أن الشيب، كما يقول العلماء: آفةٌ جلديةٌ، ذات منشأ عصبي انفعالي، وذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة قبل ألفٍ وخمسمئة عام، قال تعالى:{فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً} (سورة المزمل:17).

يعني الشيب، منشأه، خوفٌ انفعالي، وقال عليه الصلاة والسلام: «شيبتني هود وأخواتها».

((عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُمَّ عَنْهُم، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ...))(الترمذي: رقم «3219»).

هل تظنون أن الذي شيبه قبيلة هود؟ لا..شيبته سورة هود، لآيةٍ واحدةٍ فيها، وهي قوله تعالى:{فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا}(سورة هود: آية «112») شيبتني هود وأخواتها.

ويصاب كل إنسان مع تقدم العمر بالإرهاق العصبي، وبدرجاتٍ متفاوتةٍ من الشيب:{ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً}(سورة الروم: من آية 54»).

فالشيب، يلازم التقدم في السن، والإمام القرطبي يفسِّر النذير، بأنه الشيب، يعني لفت نظر لطيف من الله عزَّ وجل: أن يا عبدي اقترب اللقاء فماذا أعددت له؟ اقترب اللقاء:

((عبدي: ضعف بصرك، وشاب شعرك، وانحنى ظهرك، فاستحي مني، فأنا أستحي منك، يا عبدي، لقد قرب اللقاء، فماذا أعددت له؟)).

سؤالٌ دقيق يؤكِّد حكمة الله سبحانه وتعالى: لماذا يطول شعر الرأس، ولا يطول شعر الحاجبين والجفنين؟ لماذا تنبت الأشعار داخل الأنف ولا تنبت داخل الفم؟ لماذا تنبت الأشعار في ظاهر الكف، ولا تنبت في باطنها؟

شعرك آية، فكِّر في هذه الآية، لترى أن لهذا الإنسان، خالقاً عظيماً، وصانعاً حكيماً، أتقن صنعه، الذي أتقن كل شيء خلقه: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}(الطور: 35).

a.talbi@albassair.org – الدكتور: عمار الطالبي*

مختصر تفسير ابن عاشور (116)

كانت الإحن قاسية في الجاهلية، وتقاتل العرب وتخاذلهم فيما بينهم، واستنصار بعض القبائل على بعض بالفرس أو بالروم، فوجد هؤلاء مدخلا إلى التفرقة بينهم فحكموهم، وكانوا أعداء بسبب الغارات والحروب، فألف بينهم بكلمة الإسلام، وكانوا على وشك الهلاك، فأنقذهم الله منه.

كما أشارت الآية في قوله تعالى: {وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة:231).

ومعنى (كتب عليكم) أصل الكتابة نقش الحروف في حجر، أو ثوب، أو رقّ، بقصد التوثيق، ودوام التذكير، ومعناه أنه حق وثبت القصاص لأهل القتيل، فإن شاءوا طالبوا بالقصاص، وإن شاءوا عفوا، وأخذوا ما يتفق عليه من العوض، ويدل القصاص على تعويض حق جناية أو غرم إنصافا وعدلا، فهو عقوبة الجاني بمثل ما جنى، وإطلاقه يدل على التعادل والتناصف في الحقوق والتبعات، وزنه فعال، مصدر من القص بمعنى القطع، فهو يجري في حقين متبادلين بين جانبين، يقال: قاص فلان فلانا، إذا طرح من دين في ذمته مقدارا بدين له في ذمة الآخر، فشبه التناصف بالقطع لأنه يقطع النزاع، ويكون في الجروح والحرمات، فماهية القصاص تتضمن أمرين: التعويض والتماثل بما يحقق العدل.

فقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى} (البقرة:178)، يدل على ثلاثة أمور، الجزاء على القتل بالقتل للقاتل، وعلى التعادل والتماثل في ذلك الجزاء بالعوض له والمثل، وأنه لا يقتل غير القاتل ممن لا شركة له في قتل القتيل، فهذا نص على حق المؤاخذة بين المؤمنين في قتل القتلى، فلا يذهب حق قتيل باطلا ولا يقتل غير القاتل باطلا، وهو إبطال لما كان عليه العرب في الجاهلية من هدر دم الوضيع وإهماله إذا قتله من يعتبر شريفا، وإهمال حق الضعيف إذا قتله القوي الذي يخشى قومه، ومن زعمهم بطلب قتل غير القاتل إذا قتل أحد رجلا شريفا فإنهم يطلبون قتل رجل شريف مثله بحيث لا يقتلون القاتل إلا إذا كان كفئا له في الشرف والمجد، وتتفاوت الدماء عندهم بحسب التفاوت في الشرف، ويسمون ذلك التفاوت تكايلا في الدماء، وبهذا فقد ثبت حكم القصاص في قتل العمد، وحكمة ذلك ردع أهل العدوان حتى لا يقدموا على قتل الأنفس إذا علموا أن جزاءهم القتل عقابا لهم، فإن الحياة أعز شيء على الإنسان، ولكي يطمئن أولياء القتيل بأن القضاء ينتقم لهم ممن اعتدى على قتيلهم، وتقرر ذلك بقوله قال: {وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً} (الإسراء:33)، فلا يجوز أن يتولوا لهم الانتقام من القاتل بأنفسهم، لأن ذلك يؤدي إلى إتلاف الأنفس وإلى حروب، ولذلك قال: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ}(البقرة:179).

وجملة: {الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى} بيان تفصيلي، ومعنى ذلك أن القصاص كما يكون بين الذكور يكون بين الإناث، ويكون بين الرجال والنساء فلا تفاضل بين أفراد النوع، ويقصد بالآية إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من ترك القصاص لشرف، ولعدم الاعتداء بجناية الأنثى فلا تقتل إذا قتلت، فالنفس محرم قتلها، ومن اعتدى عليها فعليه القصاص مهما يكن ذكرا أو أنثى، حرا أو غير حر، شريفا أو وضيعا.

وقوله: {فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ} (البقرة:178) أي لا يجب على ولي القتيل أن يطلب القصاص بل هو من حقه، لكن إذا غفى عنه ورضي بالعوض، فهو حق له أيضا، فلا يجب أن يطلب القصاص إذا عفا، وفي ذلك إشارة إلى أن الأولى بالناس قبول الصلح حفاظا على أواصر الأخوة الإسلامية.

واتفق المفسرون على أن المقصود الترغيب في المصالحة لحقن الدماء، والمراد بالأخ هنا هو القاتل، ووصف بالأخ تذكيرا بأنه أخ في الإسلام وترقيقا لنفس ولي المقتول، لأنه إذا تذكر أن القاتل أخ له كان من المروءة ألا يرضى بقتله كأنه رضي بقتل أخيه، وقد قال بعض العرب: قتل أخوه ابنا له عمدا فتقدم إليه ليقتص منه فألقى سيفه وقال:

أقول للنفس تأساءً وتعزية
إحدى يديّ أصابتني ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَف من فقد صاحبه
هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

ومعنى: (عفي له من أخيه) أنه أعطى له العفو ويسر له العوض في الصلح، ويدل العفو أيضا على الميسور من المال الذي لا يجحف بباذله، ويدل على السماحة، وليس العوض في القتل العمد شيئا معينا كما هو في قتل الخطأ، بل هو أمر يتفق عليه، فيكون الإتباع ممن عفي له من أخيه شيء، والأداء حاصل من أخيه إليه، وهو تحريض لمن عفي له على أن يقبل ما عفى له، وتحريض لأخيه على أداء ما بذله بإحسان، والإتباع مستفعل في القبول والرضا، أي فليرض بما عفي له.

والقصد من الآية باختصار، هو الترغيب في الرضا بأخذ العوض عن دم القتيل بدلا من القصاص، لإبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من التعيير بأخذ الصلح في قتل العمد، ويعتبرونه بيعا لدم قتيلهم وعارا، كما قال مرّة الفَقْعسي:

فلا تأخذوا عقلا من القوم أنني
أرى العار يبقى والمعاقل تذهب

وهذا في العفو عن القتل العمد، وأما قتل الخطأ فإن الدية تكون على عاقلة القاتل أي قبيلته أو أسرته.

وإطلاق وصف الأخ على من ماثلك في الاعتقاد الإسلامي تأسيس أصل مهم جاء به القرآن الذي جعل التوافق في الدين كالتوافق في نسب الأخوة، فإنه آصرة نفسانية، أما النسب فهو آصرة جسديه، والآصرة الروحانية أشرف من الآصرة البدنية وأعلى، وقوله: (بالمعروف) أي يكون ذلك بما هو معروف ومستحسن من رضا وقبول وحسن أداء يتفق عليه.

وهذا الأداء يكون بإحسان دون غضب ولا شدة أو جفاء أو معاملة غير لائقة.

وقوله: {ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ} يدل على أن قبول العفو وحسن الأداء في الصلح، والعدول عن القصاص تخفيف من الله على الناس، ورحمة منه.

فالتخفيف في الحكم أثر من آثار رحمة الله، فإن الأخذ بالقصاص عدل، والعفو رحمة، والرحمة فوق العدل.

{فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة:178) فمن عاد إلى جناية القتل بعد ما حصل العفو، وتأدية العوض فله عذاب أليم في الآخرة، ولابد من قتله في الدنيا ولا يقبل القاضي عفو ولي القتيل في مثل هذه الحالة، فرجوعه إلى قتل النفس مرة أخرى يدل على استخفافه بالأنفس، فيجب أن يراح منه المجتمع، ومن إجرامه، وإن مال بعض الفقهاء إلى أنه يمكن لولي الدم أن يعفو عنه، ويرضى بالصلح.

{وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:179)، أي في القصاص حياة لنفوسكم لما فيه من ردع الناس من أن يقبلوا على سفك الدماء لأنه إذا أهمل القصاص، لم يرتدعوا عن القتل، لأن النفوس البشرية تتوقى الموت وتخشاه، ويستخف بالعقوبات الأخرى إن لم يعلم أن مصيره الفصاص بالقتل.

فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة، ولا يدرك حكمتها إلا أصحاب العقول، فالقصاص قد يبدو أنه قتل آخر ولكنه عند التأمل حفظ للحياة.

أبو حامد الغزالي، الشغف باليقين

بقلم الأستاذ: عمر مرزوق*

لاشك أن السمعة التي حظي بها المنظّر اللاهوتي والمفكر الأشعري الغزالي (450/ 505) لم يعتريها أي كسوف رغم مضي القرون والحقب، فلا تكاد أعماله ومؤلفاته تنقطع عن الطبع والتوزيع، إلا أن هذه الطبعات المتتالية لم تخضع يوما للمعايير العلمية الحديثة، ويترتب على هذا الوضع افتقار القارئ العربي لطبعة منقّحة ونقدية لأعمال الغزالي.

كرّست الجامعات ودور النشر الأوروبية والأمريكية المختصة في الفكر العربي والإسلامي عددا محترما من البحوث والدراسات عن الإمام الغزالي (450\505)، وفي هذا السياق، صدرت مؤخرا في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة انجليزية جديدة، وهي الثانية من نوعها، لكتاب الإمام «تهافت الفلاسفة» في حين تفتقر المكتبة العربية في وطننا، إلى دراسات علمية تتناول بالعرض والتحليل مذهب ذلك المفكّر العبقري الذي وسم بطابعه الحركة الدينية والفلسفية في العالم الإسلامي.

لم يعش الغزالي طويلا إذ انتقل إلى الرفيق الأعلى دون الستين وكان لم يتجاوز الثلاثين وقد ارتفع إلى درجة العلماء الأفذاذ، فسرعان ما أضحى من أنبغ العلماء في علوم الدين والفلسفة لا يضارعه فيهما إلا الأشعري من جهة وابن رشد من جهة أخرى، ومات الغزالي مخّلفاً تراثاً علميا جعله يتبوأ مرتبة أنبغ نوابغ الفكر الإسلامي.

كان هذا المنظّر الذي استوعب كل علوم عصره من علم الكلام وعلوم الدين والفلسفة يعدّ من أمهر نقّاد العقل اليوناني وأتقى المتصوفة، وهو الذي وضع كتاب «إحياء علوم الدين» في زمن كاد السبات يعتري علوم الدين والفقه، وقد قيل: إن «الإحياء» كان نبراسا للمتقين، وقد هدى طالبي العلم إلى سبل الرشاد، وأعاد الغزالي فيه صياغة المفاهيم، وأنار بالعلم الوافر عقول المؤمنين.

أرسى أبو حامد الغزالي قواعد العقيدة في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» وهو أول من شنّ حملة نقدية كان لها الأثر البعيد في الفلسفة اليونانية، تلك الفلسفة التي كانت آنذاك محط أنظار علماء الإسلام، وقد حارب الإمام الغزالي الإلحاد وزعزع أسسه الفلسفية بقوة جدله، ولذلك لقّب «حجة الإسلام.»

وجدير بمن كانت هذه منزلته أن نتعرض له بالحديث؛ لأنه بحث في كل العلوم، وطرق أبواب جميع الفنون، وهو أول من تقدم بإحياء روح الدين الإسلامي وبعث علومه.

ومن المؤرخين من كان يتصور الغزالي أسمى ثمرة للحضارة الإسلامية، إذ كان مثالا حيًا للتفكير المنظّم والتعبير الواضح وفقًا لمعايير الأدب العربي، ومنهم من قرّب الغزالي من فلاسفة العهد الكلاسيكي الفرنسي مثل ديكارت وباسكال على أساس أن الغزالي كان أقوى حماة الدين الحنيف، إلا أنه كان يكره التقليد الأعمى، كان الغزالي ينتقد رجال الدين الذين ضلوا سواء السبيل ونسوا أن «الهمة في الروح والهزيمة في النفس والموت في البدن»، ويوبخ أيضاً الغزالي الفلاسفة، الفارابي وابن سينا، ذاكراً زمرة من المتفلسفة «يعتقدون التميّز عن الأتراب والنظراء بمزيد من الفطنة والذكاء، قد استهانوا بتعبّدات الشرع وحدوده ولم يقفوا عند توقيفاته وقيوده، بل خلعوا ربقة الدين بفنون من الظنون يتبعون فيها رهطا يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون».

ولا مستند لكفر هذا الرهط إلا التقليد لنظريات أفلاطون وأرسطو وأمثالهم، ولم يقتصر نقد الإمام الغزالي على الفلاسفة بل تجاوزه إلى بعض الطرق الصوفية التي أصابها نوع من الزيغ واعترها الانحراف المتمثل في الشطحات مثلا.

كان الغزالي مشغوفا باليقين، هذا اليقين الذي يمكن إدراكه من خلال الرموز والعلامات والآيات القرآنية؛ فالقرآن الكريم، قوت القلوب والعقول، يدلنا، إذا أحسنّا التأمل في معانيه، إلى هذه العلامات والرموز، إلا أنه لا يسموا إلى الوقوف على تلك المعاني إلا «الراسخون في العلم».

فالغزالي يتأمل الآيات ويفسرها بأساليب تمتّ إلى الحداثة أكثر مما تمت إلى المناهج التقليدية الموروثة، لأنه أيقن أنه لا يمكن أن يرسخ الإيمان إلا بالعقل، إذ لا تكليف في الإسلام للمرء غير العاقل أو المرأة غير العاقلة، ثانيا لا يمكننا أن نتخلص من التقليد إلا بالعقل، لأن التقليد في صميمه متعلق بمنطق الكفر، وكان القرآن يرد على الذين يستندون إلى التقليد: {أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}.

ولكن كيف يتم التوصل إلى هذا اليقين وإدراكه؟

يرى الإمام الغزالي أنه يجب التخلي عن الميادين والسبل التي تفتقر أساسا إلى اليقين، الفلسفة اليونانية مثلا وعلم الكلام، يبيّن الغزالي في كتابه «تهافت الفلاسفة» أن الفلاسفة الذين يلقبون أنفسهم «أصحاب البرهان» هم قاصرون على إدراك الحق وإثبات أطروحاتهم، وتكاد تنهار تلك الأطروحات بسبب التناقضات التي تسكنها.

*دكتور في الفلسفة الإسلامية، السربون

بقلم: أم محمد الأخضر

كيف تجنبي طفلك بذاءة اللسان؟؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يولد المولود على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»
ما يحمله هذا الحديث من دلالات جمة ولطيفة، أن أطفالنا كالورقة البيضاء، بما تحمله قلوبهم الندية، وما تحمله ألسنتهم النقية.

الكثير من الأسر هداهم الله، لا يهنأ لهم بال إلا إذا سمع ابنه أو ابنته يتلفظ بكلمات نابية جارحة، وفي بعض الأحيان غير أخلاقية تماما، وتجدهم في قمة السعادة والفرح، لأن ابنهم أصبح رجلا، وقويا، وله كرامته، ويستطيع أن يدافع عن نفسه، ومن الأسر الأخرى كذلك من تجده محرجا وقلقا لما يسمعه من ابنه أو ابنته من كلمات غير أخلاقية وبذيئة.

وإنه والله ليحز في النفس أن نرى الأطفال لم يبلغوا سن التمييز بعد، وهم يقذفون من أفواههم كلمات لا يعرفون معناها ولا قيمتها من سب وشتم، وما يحز في النفس أكثر، أنه بعد سماع هذه الألفاظ النابية، تجد الأهل يضحكون، ويستحسنون، ويهنئون هذا الطفل البريء على بذاءة ألفاظه، وسلاطة لسانه، فترى المسكين يعاود ذلك الكرة بعد الأخرى، للتشجيع الذي تلقاه، ليصبح بعد ذلك هذا هو منطقه، في الحديث حتى مع والدته أقرب الناس إليه...

ولا شك أن هؤلاء الأولياء حتى إن أرادوا بعد ذلك إصلاح هذا اللسان وتطهيره من تلك الآفات يجدون صعوبة كبيرة، بعدما تكون هذه الألفاظ قد رسخت في ذهن الطفل، وذلك بعد ما يجدون أنفسهم محرجين أمام الأقارب والأحباب والأصدقاء أو حتى الغرباء...

إن هذا الطفل كما ذكرنا سالفا عندما وعى هذه الدنيا فإن لسانه لم يكن يعرف هذه الكلمات النابية البذيئة، فالأكيد أنه سمعها من الشارع أو من الروضة، أو من المدرسة، أو من منزله أو إخوته، لأن محيطه يوجد فيه الخلوق وغير المتخلق، فلا يستطيع الآباء أن يوفروا لأبنائهم محيطا ليس فيه هذه الشاكلة من المعوقات.... فالقوامة لهذا اللسان تكون أولا من البيت الذي ترعرع فيه، وبعدها لا بد من الوقاية وهي كما يقول المثل خير من العلاج، ومن زرع حصد.

وعلاج ذلك يعود إلى مرحلة الابن العمرية، فإذا كان في سنواته الأولى، فهَوِّلي من أمر صنيعه وشنعي فعله، وأبدي الأسف الشديد تجاهه متى نطق بها.

وفي المرحلة التالية، لا بد أن تستخدم الأم أسلوب الترهيب والترغيب، هدديه بالحرمان، ورغبيه في أمر يحبه، واهتمي كثيرا بتأسيس ركيزة دينية لهذه القضية في نفسه، بتخويفه من غضب الله والنار، وترغيبه في الجنة ووصف نعيمها له، وتقوية جانب الإحسان لديه بمراقبة الله عز وجل، كأن تقولين: إن الله يسمعك ويغضب من كلامك.

حاولي دائما أن تقربي شناعة الأمر لعقله بضرب الأمثلة الحسية، فهو في مرحلة لا يعرف بعد فيها تقدير القيم والأخلاق والمبادئ، فيحتاج إلى تشبيه وتمثيل، قولي له مثلا: كما تحب أن يكون ثوبك نظيفا، فليكن لسانك نظيفا أيضا، واحكي له قصصا تجسد كل مبدأ تودين أن تزرعيه في نفسه.

وقد تلاحظين استفزاز الطفل وعناده لك بنطق الكلمات النابية، فلا تبدي فورا التذمر والقلق له، فهو لا يريد إلا لفت نظرك وجذب اهتمامك إليه، فعليك إذن التنويع في أساليب مواجهتك لفعله غير السوي، تجاهليه يوما، وعظيه يوما، واحرميه يوما، وهكذا، كي لا يربط بين اهتمامك الشديد وتلفظه بهذه الكلمات أمامك.

وإن حدث وسمع طفلك شخصا كبيرا يقذف بالكلمات الشنيعة، وأبدى تعجبا، فوافقيه على إنكار ذلك، ورسخي في نفسه أن الحق أكبر من الجميع، وقد يقع في الخطيئة كل واحد، وحاولي أن تجعليه يستقل بشخصيته عن التقليد والتبعية إلا للمثل الأعلى، رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيحذر من تبرير أخطائه، بوقوع الناس في الأمر ذاته.

ليحاول الأبوان ما وسعهما ذلك، أن يتلفظا حتى في وقت الغضب بكلمات طيبة، حتى تزرع تلك الألفاظ في ذهون أطفالهم، وحتى لا تنشغل ألسنتهم النقية بالباطل والاثم.

صحتـــــك فـــــي غذائـــــك

لقد رأينا في عدد سابق أن نحو ثلث حالات مرض السرطان التي يصاب بها الناس في العالم، ترتبط بطبيعة نظامهم الغذائي، وأن التركيز على تناول بعض الأطعمة، يساعد بشكل ملحوظ على الوقاية من هذا المرض، وكما يقول المثل: الوقاية خير من العلاج.

وأن بعض الأطعمة تقوي هذه الخلايا، وتجعل منها سلاحا فتاكا في وجه الخلايا السرطانية، ومن أبرز الأسلحة الغذائية التي يمكننا اللجوء إليها في معركتنا ضد هذا المرض الخبيث، بعض الخضار والفواكه التي سبق لنا وأن تحدثنا عنها، وسنواصل حديثنا عن بعض الحمضيات، ونقول دائما الوقاية خير من العلاج:

الحمضيات:

تحتوي الحمضيات، مثل البرتقال والليمون على أكثر من 170 مادة كيميائية نباتية، ويتميز العديد منها بخصائص مضادة للالتهاب والأورام وللأكسدة، وتعتبر مادة الليمونين أقوى هذه المواد لمكافحة السرطان، وكانت إحدى الدراسات الاسترالية الحديثة قد بينت أنه يمكن لهذه المواد أن تكون فاعلة مفيدة، منذ اللحظة التي نضع فيها ثمرة من الحمضيات في أفواهنا، وأنها تسهم في التخفيف من خطر الإصابة بسرطان الفم، الحنجرة والمعدة بنسبة 50 %، تقول الباحثة الأمريكية البروفيسور كاترين باجهيرست: (إن تناول حتى حصة إضافية واحدة من الحمضيات) إضافة للحصص الخمس من الفواكه على الأقل يوميا، يمكن أن يمنحنا فوائد جيدة على هذا المستوى)) ويمكن أيضا احتساء عصير الحمضيات فهو مفيد أيضا، أي أن نعصره ونشربه مباشرة فهو يحتوي على لب الثمار.

الثوم والبصل:

رائحة الثوم والبصل يجب أن لا تثنينا عن تناولهما، إذا أردنا أن نحمي أنفسنا من السرطان، فالبصل يحتوي على نسبة عالية من الكويرستين، وهو مضاد أكسدة فاعلة جدا، وكانت إحدى الدراسات التي أجريت على فئران المختبر ونشرتها المجلة الدولية للسرطان عام 2002، قد أظهرت أن الكويرستين، مع أنواع أخرى من البوليفينولات الموجودة في الخضار والفواكه يسهم في كبح نمو خلايا البنكرياس السرطانية ويعزز ظاهرة القضاء على الخلايا السرطانية، ويقي من انتشار السرطان.

من جهة ثانية تبين أن الثوم والبصل يساعدان أيضا على الوقاية من سرطان الجهاز الهضمي، خاصة سرطان القولون والمريئ، وفي تحليل للعادات الغذائية المتبعة في أحد الأقاليم الصينية التي ينتشر فيها سرطان الجهاز الهضمي، تبين أن خطر الإصابة بها يرتفع بمعدل 3 أضعاف لدى الأشخاص الذين يأكلون كمية ضئيلة من الثوم والبصل، مقارنة بأولئك الذين يأكلون كميات أكبر، كذلك أظهرت الدراسات أن النساء اللواتي يتناولن الثوم بمعدل نصف فص نيئ في اليوم، ينجحن في التخفيف من خطر إصابتهن بسرطان الثدي بنسبة 32 في المئة.

(*)إلى كل زوجة حائرة

العصافير لا تغرد في الربيع فقط[1]

تعلمي كيف تتكيفين مع الظروف تكيفا يجعلك تستمتعين وتستنشقين السعادة، قصدت بهذه النصيحة الزوجة لأنها أكثر من الزوج في تعرضها للتغيرات.

الرجل بسبب تكوينه، فإن تغيراته الداخلية والنفسية قليلة بخلاف المرأة، التي لكثرة تعرضها للتقلبات خاصة النفسية التكوينية، يقع على كاهلها تعلم ثم إتقان التكيف.

فأنت أيتها الزوجة تتعرضين لظروف الحيض والنفاس وسن اليأس كما يسمونه، وللكثير من التغيرات التي تفاجئك أكثر مما تستعدين لها ولربما تتغير شخصيتك بالرغم منك لتظهري بمظهر غريب أو مزعج تظهر عليك سلوكات تستنكرينها لكن كلها طبيعية، فتارة تثورين لأدنى سبب وتكتأبين لفترات طويلة، أو ربما تدخلين في انزواء وصمت شديدين، أو تصيبك نوبات عصبية عارمة.

كل هذا نتيجة التغيرات الفيسيولوجية التي ترافق مراحل حياتك، لذلك إزالتها يعني أنك تريدين أن تخرجي عن كونك أنثى، وأنا لست هنا لأشرح لك بالتفصيل ما يصيب كل امرأة قبل الحيض وبعده وأثناءه، وقبل الولادة والحمل و أثناءهما، وفترة النفاس أو غير ذلك من الحالات، ولكن أنصحك أن يكون لك اطلاع واسع حول هذه المواضيع، حتى لا ترتبكي أثناء سيرورة حياتك، فمعرفة هذه الأمور التكوينية مهم للغاية.

فسبحان الله تجد الواحدة إذا اشترت أية آلة طالعت دليل المعلومات المرافق لها، حتى تستطيع تشغيلها بشكل جيد وبدون أخطاء، فكيف بتكوينك أنت، وكيانك أنت، وتضاريس نفسيتك، فهذا أولى بالدراية.

ربما تسألين هل كانت جداتنا في العصور السابقة يطالعن هذه الأمور؟ ومع ذلك كن يمررن بحياة هادئة وربما سليمة أيضا، نقول لك لسؤالك وجهان، الوجه الأول: هل كانت جداتنا لا تعرف شيئا من هذه الأمور؟ نقول إن النساء في الماضي كن لا يجدن ثقافتهن في الكتب والمجلات والانترنيت، ولكن يجدنها أثناء الجلسات النسوية، ولا يمكن أن نقول إن هذه الجلسات لم تكن مفيدة كلها، لأنها تحمل النصائح الإيجابية من التجارب السالفة لبعضهن، فكانت بمثابة وسائل إعلام، والاحتكاك المباشر بين النساء في تلك المجالس، جعلهن يتعلمن الكثير من الأشياء التي ترتبط بحياتهن الشخصية والعامة.

والوجه الثاني من السؤال هو: من قال لك أن جداتنا مرت بحياة هادئة وسليمة، بل العكس كان الجهل يسود حياة الأسر الماضية، ولفرط الجهل يركزون على أسباب المشاكل النفسية الطبيعية، والقلاقل الصحية الطارئة على أشياء وهمية، أو يسئن التشخيص فيعلقن هذه الأزمات على مشجب العين والسحر والجن، ويلجأن إلى حلول كلها جهل وضلال

....**يتبع**

(*)كريمة عمراوي

قـــرأت لك

قرأت لك في هذا العدد كتاب تحت عنوان: «**كيف تتعامل مع طفلك العنيد**»، للدكتور أيمن محمد عادل، لـ دار مشارق للنشر والتوزيع، وهو كتاب يهتم بتوجيه الآباء إلى اختيار القالب الذي سوف يصب فيه الطفل، ومن خلال قراءتك لصفحات الكتاب ومرورك بعناوين مفيدة منها:

طفلي لا يطيع أوامري
طفلي بطيئ جدا
طفلي كثير الشجار
طفلي عنيد جدا

ومنها عناوين أخرى ستتعرفين أكثر وأكثر على طفلك العنيد، وكيف تعاملينه، وما هي الخطوات التي تتخذينها لكبح جماح التحدي عنده، وتشجيعه على الطاعة والإذعان، ولك هذا الرابط إذا أردت البحث عن هذا الكتاب والاستفادة منه:

دار طيبة للطباعة - الجيزة - مصر
دار مشارق للنشر والتوزيع

15 شارع الفاروق عمر بن الخطاب، طالبية - فيصل
Mashareq@hotmail.fr

الذكرى الثانية لرحيل الإمام الفقيه الشيخ حواس بوسنة

في يوم 02 جمادى الأول 1432هـ الموافق لـ 06 أفريل 2011م انطفأت إحدى شموع الفقه والإمامة والبحث بعد طول جهد وعناء في التأليف والتفسير والإمامة بالناس.

بقلم: الأستاذ الحسن بوسنة

كان الشيخ بمثابة المثل الذي يقتدى به في مجال التقوى والبر والإحسان لأنه لم يكن ليتخلى عن عمل يفيد عامة المسلمين دون التطرق له والبحث فيه.

لقد أفنى حياته في التأليف في جميع الميادين التي كان يرى أن غيره لم يتطرق إليها من قبل في عدة مجالات، وأن أحسن مجال كان يراه غير معني به من طرف فقهاء الجزائر هو مجال التربية والتعليم.

فقد كان بصفته متخصصا في مجال التربية والتعليم وعلم النفس منذ استقلال الجزائر، وهذا قبل توليه وظيفة الإمامة في بداية الثمانينات بصفته معلما ومربيا وباحثا في الاختصاص يولي اهتماما واسعا بتربية النشء على مذهب الشيخ عبد الحميد بن باديس -رحمه الله- رئيس جمعية العلماء المسلمين الذي قال في قصيدته المشهورة:

يا نشء أنت رجاؤنا

وبك الصباح قد اقترب

فبعد طول دارسة لمراحل تربية الأبناء قام الشيخ -رحمه الله- بإخراج كتابين هامين في مجال التربية الأول اسماه «خواطر في التربية» والثاني «التربية عند ابن خلدون». وبتفحصهما يمكن الوقوف على أن من قام بكتابتهما إنسان متخصص ومتمكن في مجال التربية.

فقد استطاع بهمته وتفانيه في مجال التربية أن يتوصل إلى دراسة عصرية في مجال تربية النشء وفق مبادئ ديننا الحنيف بعيدا عن التهويل والتهريج وسوء التقدير، فقد توصل في خاتمة كتابه «التربية عند ابن خلدون» إلى أن هذا الأخير هو الشخصية الوحيدة الذي ساهم في الحقل التربوي، وفي بناء شخصية الطفل الذي اهتم به العالم اهتماما خاصا حتى أصبح العالم المعاصر يسمى بعصر الطفل.

ولا جرم أن كل من يطلع سواء على مؤلف «خواطر في التربية» أو «التربية عند ابن خلدون» ليقف على أن صاحبهما قد أوضح وأنار الطريق لكل من يعمل في مهام التدريس مدى أهمية تكوين الطفل وتربيته وتعليمه، وأن المعلم هو المثل الأعلى عند التلميذ، ويذكر الشيخ واقعة في كتابه «خواطر في التربية» باب أصول تدريس الأطفال، حيث قال: «ألقى معلم على أطفاله خطبة نظرية تكاد تشبه في طولها خطبة الجمعة في معنى الكذب وتحريمه ووجوب تجنبه، وفي نهاية الدرس أخرج مجموعة من الدراهم وعدها على مرأى ومسمع الأطفال، وبعد لحظات دخل زميل لهذا المعلم، ورجا منه أن يقرضه بعض الدراهم فأقسم أنه لا يملك دينارا واحدا، لتتحول النتائج المرجوة من درس هذا المعلم إلى نتائج عكسية تماما، لأن المعلم كان قدوة سيئة في الكذب وعدم الصدق».

وأحسن دليل على أن مؤلفات الشيخ ذات قيمة ومنفعة علمية وعملية للمعلمين والمربين على حد سواء، أنني في المدة الأخيرة سافرت إلى البقاع المقدسة وبالضبط إلى مكة المكرمة حاملا معي بعض النسخ من كتاب «خواطر في التربية» وقمت بتوزيعها على بعض الأصدقاء هناك منهم والد أحد الأصدقاء شغل مهنة التعليم لأكثر من 40 سنة، وبعد يومين من ذلك اتصل بي صديقي وأخبرني بأن والده المعلم صاحب الخبرة الطويلة في مجال التعليم بمكة المكرمة قام بقراءة الكتاب وأوصى أبناءه الذين يشتغلون في ميدان التعليم بقراءة خمس صفحات

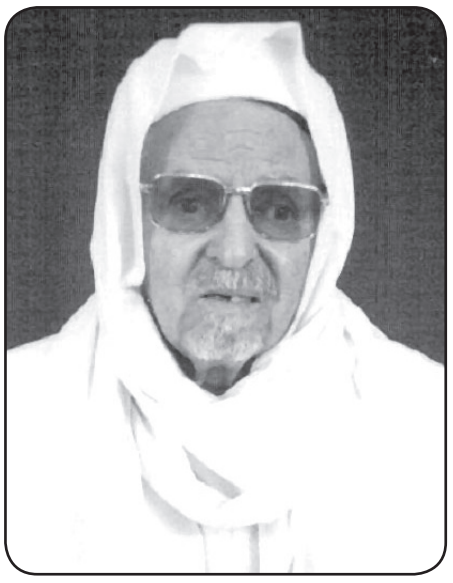

فقط من كتاب «خواطر في التربية» في اليوم، وحين استفسرته لماذا هذا الحد في حجم القراءة فأخبرني أن إخوته المعلمين سبقوني في توجيه ذلك السؤال لوالدهم فأجابهم بأن ذلك سيسهم في حسن تفحص ما بين السطور والتدقيق جيدا في محتوى ذلك المؤلف واستيعابه...

لقد انتقل الشيخ حواس بوسنة الإمام المربي إلى جوار ربه قبل أن يصطدم بواقع مر أصبحنا نعيشه اليوم والمتمثل في خطف وقتل الأطفال الأبرياء على مستوى ربوع الوطن، الشيء الذي يندى له الجبين، لأن شيئا مثل ذلك سوف يحز في نفسه ويأسف له ويتحسر عليه، لأنه كان دائم القول ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا.

زيادة عن كل ذلك، فقد تطرق الشيخ -رحمه الله- لمواضيع لم يسبق لباحث التطرق إليها، منها «فقهاء الجزائر وزواياهم» إذ لم يؤرخ لهذه الفئة ويجمع أعمالهم وإرثهم إلا القلة القليلة من الباحثين لينتفع بها غيرهم من بعدهم...

ومن صفات الشيخ التي كان يتسم بها هو تنقله وحضوره الدائم لجميع المحافل التي لها علاقة بمجال الدعوة والإرشاد، منها ما كان يعرف سابقا بمؤتمرات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد كل سنة، وكذا تنقله لمختلف الزوايا عبر الوطن، وهذا كله من أجل إثراء معارفه في مجال الدين وأصوله..وكان -رحمه الله- دائما منكبا على قراءة القرآن طوال السنة، وكثير الصيام، وكان دائما لا يؤجل عملا أو يؤخره ليوم آخر، وكم كان يوصي أبناءه بحسن معاملة جيرانه..

وإلى جانب ذلك كان كثير الاهتمام بأحوال المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ولا تفوته مسألة الدعاء لإخوانه من المسلمين المضطهدين في كل من بورمة والفلبين والشيشان والكشمير وغيرها من البلدان التي كانت تضطهد فيها الأقليات المسلمة، وهذا دليل على اطلاعه الواسع على ما كانت تعاني منه الأقليات المسلمة، وكان شديد التأثر بالأنباء التي تخص تلك المواضيع.

هذه بعض صفات الشيخ الحواس بوسنة -رحمه الله- واختم هذا المقال بالدعاء الذي كان يدعو به عند كل سجدة في صلاته «ربي ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي ولوالدي ولعامة المسلمين» آمين يا رب العالمين .

ترجمة أبو العباس الزواوي الجزائري «صوت من مزامير آل داود»

بقلم: الدكتور أبو مريم الجزائري

أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الزواوي مقرئ قسنطينة بالجزائر في عصره، فارس القراءات والتجويد بلا منازع، صناجة عصره ومقرئ السلطان أبي الحسن المريني.

مولده ونشأته

لم أعثر في جميع المصادر التي طالعتها والتي ترجمت له على تاريخ مولده، ولم تذكر إلا أنه ولد في بلاد زواوة من بجاية، حيث حفظ القرآن الكريم والقراءات والتجويد، كما تعلم العربية وعلومها من نحو وصرف وبلاغة، ثم هاجر إلى فاس أين تعلم على مشايخها وعلمائها.

شيوخه

«أخذ عن أبي الحسن بن سليمان القرطبي وأبي مروان الشريشي [هو العلامة المحدث المقرئ أبو مروان عبد الملك بن موسى بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الشريشي (ت 724هـ) صاحب «التبيان» في رسم المصحف وضبطه]، وأبي جعفر بن الزبير [أبي جعفر بن الزبير بن إبراهيم العاصمي الثقفي(ت 708) مؤلف كتاب «صلة الصلة وغيرهم» (درة الحجال 1/94-95، ترجمة 136 و139).

كما روى عن الرحالة أبي عبد الله بن رشيد وأجاز له.[الإمام الخطيب المحدث أبو عبد الله بن رشيد السبتي (721هـ)](تاريخ ابن خلدون 7/394.]

وقرأ على الإمام ابن المرحل (ت 699 هـ)، والإمام أبو الحسن بن سليمان القرطبي (ت 730هـ) «شيخ الجماعة» وأستاذ العصر مؤلف «تهذيب المنافع».

تلامذته

تعلم وتخرج جيل من العلماء والمقرئين على يد الإمام أبو العباس الزواوي بعد أن سارت بذكره الركبان في كل مكان، وغدت طريقته في التجويد والأداء مضرب الأمثال.

ومن تلامذته المؤرخ المشهور ابن خلدون الذي ذكره في تاريخه قائلا: «ومنهم أبو العباس أحمد الزواوي إمام المقرئين بالمغرب، قرأت عليه القرءان العظيم بالجامع الكبير القراءات السبع من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح في ختمة لم أكملها، وسمعت عليه عدة كتب وأجازني بالإجازة العامة»(تاريخ ابن خلدون 7/385 والتعريف بابن خلدون 21-20).

علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أبو الحسن السلطان المريني، كان مختصا به ملازما له، وقد ذكره ابن خلدون في تاريخه قائلا: «كان يصلي بالسلطان التراويح ويقرأ عليه في بعض الأحيان حزبه»(تاريخ ابن خلدون 7/394).

كما أن من تلامذته والمتخرجين على يديه في فن التجويد القارئ كبير، وخليفته في مجالس الأمراء ومساجدهم أبو عبد الله محمد بن قاسم بن أحمد بن إبراهيم الأنصاري جياني الأصل مالقيه، يكنى أبا عبد الله الأنصاري ويعرف بالشديد على بنية التصغير، قال ابن الخطيب في ترجمته [الإحاطة في أخبار غرناطة 3/196-197]: «من أهل الطلب والذكاء والظرف والخصوصية، مجموع خلال، من خط حسن واضطلاع بحمل كتاب الله، بلبل دوح السبع المثاني، وآية صقعة في الصوت وطيب النغمة...ثم ذكر من مشيخته أنه «قرأ على المقرئ الفذ الشهير في الترنم بألحان القرءان أبي العباس الزواوي سبع ختمات وجمع عليه السبع».

ومنهم أبو عبد الله الفخار محمد بن عبد الله السماتي شيخ صاحب «التحفة في قراءة نافع».

والإمام أحمد بن مسعود بن غالب أبو العباس البلنسي المعروف بابن الحاجة ذكره ابن الجزري في الآخذين عنه في ترجمته رقم 555، حيث قال: «أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الزواوي مقرئ بقسنطينة، قرأ على إبراهيم بن أحمد الغافقي وعلى بن سليمان بن أحمد ومالك بن المرحل، روى القراءة عنه أحمد بن مسعود بن الحاجة التونسي لقيه سنة ثمان وأربعين وسبعمائة بقسنطينة»(غاية النهاية في طبقات القراء: 1/124).

وفاته

توفي رحمه الله غريقا في نكبة أسطول الأمير أبي الحسن المريني وهو على مشارف السبعين من العمر، بتاريخ ثامن ذي القعدة الحرام سنة 749هـ كما ذكر صاحب درة الحجال 1/94 ترجمة 136. بعد أن قضى في مشيخة الإقراء عدة عقود من الزمان» .

ولقد انهد بذهابه ركن عظيم في هذا المجال، وإن كان بعض المتأثرين به قد حاولوا السير في هذا المنهاج، تلك آثاره مما بلغنا عن البلبل الصداح الذي بقي صداه فيمن سيخلفه من أصحابه إتقانا وتحريرا وحذقا وإحسانا».

مؤلفاته

ذكر الدكتور حميتو حفظه الله في رسالة الدكتوراه (قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 4/ 56) بأنه لم يقف على تسمية شيء من مؤلفاته في المصادر ولا في كتب القراءات على الرغم مما ذكره له أبو عبد الله بن مرزوق [في المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق ص 136] من قوله: «وله تصانيف في علم القراءات والعربية نظما ونثرا»

ولعل تصانيفه هذه ضاعت أو غرقت معه في النكبة التي ذهب فيها ومن معه من جلة العلماء والقراء، والإشارة الوحيدة التي وقفت عليها ويمكن أن يكون هو المراد بها، قد ساقها كل من أبي زيد ابن القاضي وتلميذه مسعود جموع في شرحيهما على «الدرر اللوامع» لابن بري عند ذكر تسهيل الثانية من الهمزتين المفتوحتين من كلمة لورش فقالا: «وقال سيدي الحسن الدرعي[من شراح أرجوزة «تفصيل عقد الدرر» لابن غازي] في شرحه: «وروي عن أبي يعقوب البدل كما روي عنه التسهيل، قال أبو العباس أحمد الزواوي: وافق أبو يعقوب صاحبيه وزاد البدل، انتهى» (الفجر الساطع وكذا في الروض الجامع لمسعود جموع في باب الهمز).

طريقه في القراءات

يعتبر طريق أبي العباس الزواوي عن شيخه أبي الحسن بن سليمان عن شيخه أبي جعفر بن الزبير أشهر طريق عند المغاربة في قراءة نافع.. فإن الإسناد من طريقه أكثر، وأئمة الإقراء من زمنه لا يكادون يسندون إلا من هذه الطريق، وعلى الأخص في روايتي ورش وقالون، كما نجد ذلك في فهرسة ابن غازي، ثم في إجازة ابن القاضي وأبي عبد الله البوعناني وفهرسة أبي العلاء المنجرة وابنه أبي زيد وغيره.[«قراءة الإمام نافع عند المغاربة»4/57 د. عبد الهادي حميتو].

وقد أسند منها الإمام ابن غازي رواية ورش في فهرسته (التعلل برسوم الإسناد) ص 37-36.فقال : «حدثنا بها- يعني شيخه أبا عبد الله الصغير النيجي- عن أبي العباس الفيلالي، عن أبي عبد الله الفخار السماتي، عن أبي العباس الزواوي، عن أبي الحسن بن سليمان عن أبي جعفر بن الزبير، عن أبي الوليد إسماعيل العطار، عن أبي بكر بن حسنون، عن أبي محمد عبد الله بن بقي، عن أبي محمد عبد الله بن عمر بن العرجاء، عن أبي معشر الطبري وأبي العباس بن نفيس، عن أبي عدي، عن أبي بكر بن سيف، عن أبي يعقوب الأزرق، عن ورش عن نافع، عن ابن هرمز عن أبي هريرة عن أبي بن كعب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن اللوح عن القلم عن رب العزة سبحانه».

صلته بالأمير أبي الحسن علي بن عثمان

لعل مما أسهم في شهرة أبي العباس الزواوي وذيوع صيته، تلك الصلة العلمية الوثيقة التي كانت له بالسلطان أبي الحسن المريني يعسوب الدولة المرينية وعالمها، «وهي صلة لم تكن تقف عند حدود الإعجاب به أو انتدابه للتعليم والتدريس بحضرته، بل إنها تجاوزت ذلك إلى الصحبة الطويلة الدائمة، ولاسيما بعد موت الشيخ أبي الحسن القرطبي ونظرائه من الأئمة الذين كانت تزدان بهم مجالس السلطان في المناسبات الرسمية.

ولعل صحبة الإمام الزواوي لهذا الأمير كانت منذ عهود التلمذة والأخذ عن المشايخ، لأننا نلاحظ أن عامة من أخذ عنهم كانوا من المتصدرين بفاس أو ممن كانوا يترددون عليها من سبتة وغيرها كابن المرحل وابن رشيد، إلا أنه أدرك من المشايخ من لم يدركهم أبو الحسن، ومنهم الامام ابن المرحل (ت 699) وأبو جعفر بن الزبير (ت 708)، ولهذا نجد أبا الحسن المريني المذكور يختاره ليعرض القراءة عليه، كما يختاره لصلاة التراويح، ويجعله ملازما له يقرأ له ورده اليومي، ويرافقه في جميع أسفاره ورحلاته، وقد رافقه في رحلته إلى تونس حيث مات غريقا رحمه الله في نكبة أسطول أبي الحسن.

وقد ذكر ابن خلدون أن السبب في ترشيحه لهذه المهمة هو:

ما أوتيه من الحذق في القراءات وما وهبه من ملكة فيها.

وما وهبه الله إياه من طيب النغمة بالقراءة، وهما أمران نادرا ما يجتمعان.

ولقد نوه كل من ترجموا له بهاتين الخاصيتين، وعبروا بالمخالطة والسماع عن مبلغ انبهارهم بما أعطيه من ذلك، ولاسيما ما ذكروا عنه من حسن الأداء الذي أعانه عليه - كما عبر ابن خلدون - «صوت من مزامير آل داود».

ولقد نبه على ما أوتيه من ذلك أيضا خلفه في مجالس المرينيين ابن بلده الجزائري أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (الجد) الذي ألف عن حياة أبي الحسن المريني كتابه المشهور «المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن»، فكان مما قال فيه عن المترجم في الصفحات 121 - 136: «ثم لزم الحضرة أخيرا الأستاذ العلامة أبو العباس الزواوي الشهير، الذي لم ير في عصره أطيب منه نغمة ولا أحسن منه صوتا ولا أنداه، لا تملك النفوس ولا الشؤون عند سماعه، هذا مع إتقان الضبط وإحكام الروايات وعلو السند، يسرد القرءان مع الغاية في إخراج الحروف من مخارجها، وتوفية أدوات القراءة».

للمقال مراجع

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والقضية الليبية (1)

أ.د / مولود عويمر *

تطمح هذه الورقة إلى الإجابة عن مجموعة إشكاليات أساسية لفهم العلاقات بين الجزائر وليبيا بين 1911 و1951. وهي: ما هو موقف الجزائريين من الاحتلال الإيطالي لليبيا؟ ما هي أصداء مقاومة عمر المختار في الجزائر؟ ما هي صلة الشيخ سليمان الباروني بالحركة الإصلاحية الجزائرية؟ كيف تناولت الصحافة الإصلاحية الجزائرية القضية الليبية؟ ما هي أهم الأقلام الليبية التي ساهمت في الصحافة الإصلاحية الجزائرية؟ كيف استقبلت جمعية العلماء الجزائريين استقلال ليبيا؟

نحاول الإجابة عن هذه الإشكاليات من خلال دراسة نموذجية، وهي تتمثل في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كانت تشكل قطبا من أقطاب الحركة الوطنية الجزائرية بين 1931 و1956.

احتلال ليبيا والموقف الجزائري

لم تكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين موجودة حينما احتل الجيش الإيطالي طرابلس في عام 1911، وكان معظم العلماء الذين سيؤسسون هذه الجمعية الإصلاحية فيما بعد طلابا في الزوايا والمعاهد الإسلامية في الزيتونة والقرويين وجامع الأزهر وغيرها من المؤسسات الدينية العلمية، إلا أن تأثير هذا الحدث على مجريات الأحداث فيما بعد يفرض علينا التوقف عند هذه المحطة التاريخية.

تأسست حركة تضامنية مع إيالة طرابلس الغرب بعد أن اعتبر الجزائريون احتلالها حلقة جديدة في سجل الغزو الاستعماري الغربي للعالم العربي والإسلامي الذي بدأ مع احتلال الجزائر في عام 1830. وتجسد هذا الحراك القومي في عدة مظاهر أذكر منها:

1 جمع التبرعات للمجاهدين الليبيين، وجمعت الأموال بالمصوغات الذهبية والفضة والزيت والدقيق والسكر والشاي عبر القطر الجزائري، منها ما سلم لرئيس الهلال الأحمر العثماني، ومنها ما سلمه الجزائريون مباشرة إلى المجاهدين الليبيين.

2 نقل السلاح لدعم مقاومة المجاهدين الليبيين.

3 حملة إعلامية ضد الاحتلال تزعمتها جريدة الحق والمثقف الثائر عمر بن قدور في جريدة الحضارة الصادرة باسطنبول

4 توزيع منشورات تدعو إلى مقاطعة اقتصادية للإيطاليين المقيمين في الجزائر.

5 التجمع أمام القنصلية الإيطالية في الجزائر للاحتجاج على الاحتلال الايطالي.

6 تطوع الجزائريين للجهاد ضمن المقاومة الليبية ومن أشهرهم ناصر بن شهرة أحد أبطال 1871 والذي مات شهيدا بالقرب من طرابلس في عام 1912.

7 اشتباكات بين الجزائريين والإيطاليين في مناطق عديدة منها بجاية وعنابة.

عمر المختار (1862-1931) في أدبيات جمعية العلماء الجزائريين

تأسست جمعية العلماء في 5 ماي 1931 أي قبل وفاة عمر المختار بـ 4 أشهر، وهي لم تصدر جريدتها الأولى إلا في عام 1933، ولذلك لم تتابع مقاومة عمر المختار، بينما حظي تاريخ نضاله باهتمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ صدور جريدة البصائر لسان هذه الجمعية.

وشجعت هذه الجمعية الحراك الجزائري في إستراتيجية مقاومة النفوذ الفرنسي في الجزائر. وشارك متطوعون جزائريون ولعل أشهرهم مصطفى الجزائري المولود بمعسكر بالغرب الجزائري في عام 1892، والمتوفى في سنة 1982 بطرابلس. وقد لازم عمر المختار حتى أصبح من أقرب مساعديه، وسفيرا له في مهمات دبلوماسية سرية.

وانتشرت أخبار مقاومة عمر المختار كالهشيم في النار، وتعاطف معها الجزائريون كما تعاطفوا مع الأمير عبد الكريم الخطابي في حرب الريف. ذلك أن هاتين الثورتين أحيتا في قلوب الجزائريين ذكرى ملحمة الجهاد التي لم تنطفئ نارها في الجزائر خلال القرن التاسع عشر.

وتجاوب الجزائريون تلقائيا لدعوات العلماء كالشيخ عبد الحميد بن باديس، والسياسيين بزعامة الدكتور محمد بن جلول لدعم الكفاح الليبي لتحرير الأرض والعباد.

وبعد انتشار خبر استشهاد عمر المختار بطريقة بشعة، نشرت مجلة الشهاب كلمة رثاء في الشهيد عمر المختار عنوانها: «سيد الشهداء ورأس الأبرار»، واخترت لك منها أيها القارئ هذه الفقرات المعبرة: «اغتالت يد الطغيان الاستعماري بطلا من خيرة أبطال العرب، ورأسا من أعظم رؤوسهم، ومجاهدا كان يقف في طليعة مجاهديهم، وصنديدا غالبته الأيام فغالبها، وصارعته الحوادث فصارعها.. وحاربته دولة من أكبر دول الأرض بجنودها ودباباتها وطائراتها .. فثبت أمامها ثبات الراسيات، متذرعا بالإيمان، متحصنا بقوة العزيمة، معتدا بالله. ولطالما انتصر وظفر، ولطالما انكسر واندحر .. فما زاده النصر إلا عزيمة، وما زاده الاندحار إلا ثباتا.. واعتكف على قتال المعتدين الظالمين، وحوش الاستعمار الإيطالي، فكان في حربهم شريفا مسلما.. مستميتا ساعة الملحمة، رءوفا حليما ساعة وضع الحرب لأوزارها... ذلك هو المجاهد سيدي عمر المختار زعيم السنوسيين ببرقة الذي جاهد عشرين عاما، دفاعا عن بيضة الإسلام، وكرامة الوطن.»

وفي السياق نفسه، نشر الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلته الشهاب قصيدة أحمد شوقي في رثاء عمر المختار ملحقة بصورته التي كتب بجانبها «عمر المختار ضحية الاستعمار الإيطالي». وأقطف من هذه القصيدة هذين البيتين:

يا أيها الشعب القريب أسامع
فأصوغ في عمر الشهيد رثاء
ذهب الزعيم وأنت باق خالد
فأنقذ رجالك واختر الزعماء

وحرص الشيخ عبد الحميد بن باديس على إعادة نشر مقال للأمير شكيب أرسلان حول صلته بعمر المختار. ولا شك أن القارئ الجزائري تأثر أيضا بهذا المقال الذي كان له صدى كبير في العالم الإسلامي، لأنه كشف عن عظمة الزعيم الليبي ومن جهة، وفظائع الاحتلال الايطالي من جهة أخرى.

قال شكيب أرسلان في هذا الشأن: «الشهيد عمر المختار هو من أعظم رجال هذا العصر، وممن تتزين بسيرته صحائف التاريخ العام، فلا يماري في ذلك أحد عنده ذرة من الإنصاف.»

ونشرت الشهاب رسالة بعثها عمر المختار إلى شكيب أرسلان عبر من خلالها عن تقديره لنضال هذا الرجل في سبيل القضية الليبية ومساعدته للمجاهدين الليبيين في حربهم ضد الغزاة الإيطاليين.

وكتب عنه الشيخ علي مرحوم، أحد علماء الجزائر قائلا: « لقد سقط عمر المختار شهيدا كريما في ساحة الجهاد المقدس الذي عرف رايته ضد أفظع استعمار عرفه القرن العشرون.. ذلك الجهاد الخالد الذي امتد طوال عشرين عاما، لم يهن فيه ولم يضعف هو وصحبه إلى أن أذن الله أن يدرك النهاية التي جاهد من أجلها وهي: أن تحيا ليبيا حرة عزيزة، أو يستشهد ويفوز بالكرامة عند الله في دار الخلد الأبدي».

وبقيت صورة عمر المختار منقوشة في ذاكرة الجزائريين، يكتب عنها الكتاب، ويستلهم من ملحمته الشعراء، فهذا الشاعر الجزائري ومندوب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في فرنسا الشيخ الربيع بوشامة ينظم قصيدة شعرية في عام 1949 يذكّر فيها الشعب الجزائري بنضال إخوانهم الليبيين تحت راية عمر المختار، أذكر منها الأبيات التالية:

يا ابن الجزائر هذي ليبيا فديت
من العذاب ونالت غير أوطار
إن العروبة في أي البلاد نمت
روح موحدة الآمال والدار
حييت يا ليبيا الشماء من وطن
معزز سيد الأبطال مغوار

ولم يتأخر حزب الشعب الجزائري عن إدانة إعدام الشيخ عمر المختار الذي ساند ماديا ومعنويا فنشرت جريدة الأمة لسان حال الحزب في صفحتها الأولى مقالا بعنوان بارز: «موسوليني مجرم قاتل ماتيومي والبطل الوطني عمر المختار».

محاضرة قدمها الكاتب في المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية بطرابلس يوم 3 أبريل 2013.

* عضو المكتب الوطني مكلف بالتراث والبحث العلمي

كلمة حق عن الشيخ سعيد رمضان البوطي رحمه الله

بعد سماع فاجعة اغتيال الشيخ سعيد البوطي -رحمه الله - والتي هزت كيان العالم الإسلامي هزا عنيفا، واختلفت آراء الناس ومواقفهم حولها بين مستبشر ومستنكر، رأيت من حق الشيخ عليّ، وأنا واحد ممن تتلمذ على يديه في مساجد دمشق وجامعتها، أن أكتب كلمة للتاريخ أصدع فيها بالحق الذي أراه دون أن أكترث برضى الناس - وإن كان مطلبا فطريا - إذا تعارض مع رضى رب الناس، فأقول -وبالله التوفيق- لقد كان الشيخ عندي وعند كثير من طلاب العلم من بين أحسن الشيوخ نفعا لطلاب العلم وتأثيرا في نفوسهم قولا وعملا وحالا، ونشهد أننا كنا نخرج في دروسه متأثرين بأقواله وأحواله، وشاعرين بنحو قريب مما ذكره الصاحبة من أحوالهم عند مجالستهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يشهد بذلك الموافق والمخالف.

وأشهد -أنا شخصيا- بأنني كنت كلما حضرت درسا من دروسه أو سمعت محاضرة من محاضراته إلا وازداد يقيني بحقيقة لا ينكرها إلا من حُرم موازين العلم ونَفَس الإنصاف وهي أن العلم صار عند الشيخ ملكة ونورا ملأ عليه كيانه، فلا يتكلم في موضوع إلا وتشعر بأنه مالك زمامه، وفارس ميدانه.

وكنا -مع ذلك- ننكر عليه - كما أنكر عليه غيرنا- شيئا من الحدة مع مخالفيه من التيارات وأصحاب القناعات، كما كنا -كسائر طلاب العلم الراشدين -إن شاء الله- نأخذ من كلامه ما صفى وندع ما يبدو لنا أنه ليس كذلك، ولا ضير -عند العقلاء- في ذلك، إذا صحِبه أدب التلميذ مع المعلم والطالب مع الأستاذ والعامي مع العالم، فكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكنا -بحمد الله- لا نذكره إلا بخير ونحن في معرض الاعتراض عن بعض آرائه التي خالف فيها غيره من أهل العلم أو جمهورا من مشايخنا الآخرين، فما بالك إذا كنا في معرض تدارس بعض درره وإبداعاته وتوفيقاته.

ولعل مما كنا ننكره عليه مبالغته في الإنكار على كل من اعترض -مصيبا أو مخطئا- على الحكام في سوريا وفي غيرها، وإدانته المطلقة ودون تثبت -أحيانا- لكل معارضةٍ وإن كانت من أوجب الواجبات، وموسست بأحكم الأساليب والتصرفات، وكل ذلك كان قبل أحداث سوريا وما زُجّ به فيها من مواقف وتصريحات، وددنا- والله- أن لو نأى بنفسه عنها أو سكت عن الكلام فيها، أو -على الأقل- وقف عند الصدع برأيه الفقهي الذي له فيه سلف بلا ريب، وقد يعذره فيه الفقيه ويلتمس له فيه العذرَ النبيهُ، دون أن يضع نفسه موضع المدافع عن الحكام بأبلغ ما يكون، بل بأكثر مما كانوا يتصورون، مثيرا بذلك حفيظة جيل بأكمله -سامحه الله وغفر له-، ومزعزعا- عند كثير من العوام- للثقة في أهل العلم والتربية بشكل خطير طرح إشكالاً عظيماً بين المسلمين.

ولكن -قدر الله وما شاء فعل- حصل ما لم نكن نرجوه من تصريحات لم يوافقه عليها أغلب طلابه، وزملائه، بل وشيوخه، وكنت -والله- مع ذلك أحتار ولا أجد ما أقول لما نعلمه عنه ونتوسمه فيه من خير، وكنت أرجو أن يختم الله له بخاتمة الحسنى، وأن تنتهي حياته وقد انعزل عما يمكن أن يكون ركونا، فكان ما كان من حادثة الاغتيال المدروس مما يُحزن بادئ الرأي، لكنه -إن شاء الله- علامة قبول وحسن خاتمة، تُغفر بها الذنوب، ويرضى بها عنه -إن شاء الله- علام الغيوب، وإنني -والذي فلق الحب والنوى- كنت ولا زلت وسأظل إن شاء الله على يقين أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأن الله لا يترك إخبات المخبتين هملا، ولا يترك إنابة المنيبين تضيع هدرا، فكيف وقد ختم له وهو في المسجد يفسر كتاب الله والعبرة بالخواتيم كما هو معلوم.

نحسبه كذلك، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا، ونسأل الله أن يغفر له ولنا ولعلماء المسلمين ودعاتهم، وأن يجمعنا بهم جميعا تحت لواء سيد المرسلين، وأن يرحم جميع من أصابه ظلم الظالمين وطغيان الطاغين، وأن يعجّل بالانتقام لأوليائه من أعدائه، وأن يحسن عاقبة الأمة في ما يكاد لها، وأن يقبضنا إليه غير فاتنين ولا مفتونين، اللهم آمين.

د. عبد الحليم قابة

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنظم ملتقاها السابع للقرآن الكريم بولاية الوادي

«الحريـــــة فـــي القـــرآن الكريـــــم، ضوابطـــها ومجـــالاتـــها»

نظمت جمعية العلماء (شعبة ولاية الوادي) بالإشتراك مع مدرسة عموري للقرآن الكريم بذات الولاية الملتقى الوطني السابع للقرآن الكريم بعنوان (الحرية في القرآن الكريم، ضوابطها ومجالاتها) خلال الأيام 30/31/مارس و01 أفريل 2013 احتضنته دار الثقافة الأمين العمودي.

تغطية: الأستاذ قدور قرناش

حيث دأبت الجمعية على تنظيم هذا الملتقى سنويا، ليكون تتويجا للعمل المستمر والدائم التي تقوم به في المدرسة القرآنية على مدار السنة، وبذلك تجمع بين العمل التكويني والعمل الجماهيري، لارتباطهما ببعض، فالأول لبناء الأفراد وإصلاحهم، والثاني للتعريف بالجمعية ونشاطها ولانفتاحها على الآخرين.

كل من حل بولاية الوادي من ضيوف الجمعية كانت قبلتهم هذه المدرسة التي تعتبر نموذجا لعمل جمعية العلماء منذ أن فتحت أبوابها للطبة في 02 ديسمبر 2006، فهي تحتوي على كل المرافق من دار للضيافة إلى قاعة للمحاضرات ومراقد للطلبة ومطعم وغيرها مما تتطلبه المدرسة النموذجية، وهي تعمل على تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الشرعية لكل الاصناف والفئات.

مع غروب شمس يوم الجمعة 29 مارس كانت معظم وفود الولايات قد وصلت، فتم توزيعها بين المدرسة والإقامة الجامعية لجامعة الوادي، التي قال مديرها لا أستطيع أن أرفض طلبا لأهل القرآن، كما تم تسخير حافلات النقل الجامعي طيلة أيام الملتقى لخدمة ضيوف الوادي.

والملاحظ أن ضيوف الملتقى لم يكونوا من شعب الجمعية فقط بل حضرت بعض الجمعيات الأخرى التي منهجها الفكري من منهج جمعية العلماء كجمعية القلم من ولاية المدية وجمعية الإخاء العلمي من ولاية سطيف وغيرها من الجمعيات، إضافة إلى العديد من الشعب الولائية لجمعية العلماء.

صبيحة يوم السبت 30 مارس 2013 وفي حدود التاسعة إلا ربع انطلقت أشغال الجلسة الافتتاحية تحت رئاسة الأستاذ ياسين عموري الذي هو ثمرة من ثمرات الأستاذ إبراهيم رئيس خلية الضيوف بالمدرسة، كانت البداية بتلاوة مباركة من القرآن الكريم من طرف الطالب عبد الستار من تلاميذ المدرسة، أحيلت بعد ذلك الكلمة للدكتور عبد الكريم أبو غزالة من شعبة ولاية الوادي والذي حيا الحضور، ورحب بالسيد والي الولاية والسيد مدير الشئون الدينية والأوقاف وكل المدراء التنفيذيين الذين لبوا دعوة الجمعية.

تلاه بعد ذلك السيد والي الولاية الذي القى كلمة الافتتاح ،ثم أعقبه السيد مدير الشؤون الدينية والأوقاف، أما كلمة المكتب الوطني للجمعية فقد ألقاها الأستاذ التهامي مجوري، إذ بلغ الحضور تحيات الشيخ عبد الرزاق قسوم الذي تعذر عليه الحضور إذ هو كما قال عنه رغم السنوات الثمانين لا يزال يجوب الوطن والعالم خدمة للإسلام والجزائر.

الجلسة الأولى وترأسها الدكتور عبد القادر مهوات، وتضمنت ثلاث محاضرات وفق الآتي:

أ - المحاضرة الأولى بعنوان (الحرية والهوية والثقافة) ألقاها الدكتور عبد الحفيظ بورديم، ومما قال فيها: الوادي سبقت الإصلاح بالإصلاح ولما جاءها الإصلاح أثمر فيها.

ب - المحاضرة الثانية بعنوان (منهج الوحي في تقرير الحرية) ألقاها الدكتور عبد الحليم قابة، ودعا فيها إلى تحرير الإرادة من رهنها لشيء غير الله أو لشيء طلبا للبقاء أو رهنها لأمر من أمور الدنيا.

ج - المحاضرة الثالثة بعنوان (أثر الحرية في بناء الحضارات) ألقاها الدكتور عبد الله لعريبي، ومما جاء فيها قوله: لا سبيل لنهضة حقيقة دون الحرية الكاملة، فلا غرابة من أن تثور الشعوب لأجلها وتنتفض.

كانت مدة كل محاضرة نصف ساعة أعقبتها تعقيبات ومداخلات ونقاش ومنها مداخلة الأستاذ محمد بحري التي عنونها بـ (الحرية بين المدارس الفكرية والقرآن الكريم).

في اليوم الثاني من الملتقى توجه الجميع بانتظام إلى قاعة المحاضرات صبيحة يوم 31 مارس 2013 حيث انطلقت المحاضرات بدون تأخر وهو أمر يحسب للمنظمين والمحاضرين، وقد ترأس هذه الجلسة الأستاذ الطاهر مهمل وقد تضمن اليوم الثاني أربع محاضرات هي كالآتي:

- المحاضرة الأولى بعنوان (الحرية من منظور جمعية العلماء) ألقاها الأستاذ محمد الهادي الحسني الذي تطلع في الجنوب (la ni mie) مازح الحضور بقوله

مذكرا ببعض رجال الإصلاح بوادي سوف مثل الشيخ حمزة بوكوشة والشيخ عبد القادر الياجوري وغيرهم وقد استحضر في محاضرته العديد من أقوال رجال الجمعية في الحرية وممارستهم لها.

- المحاضرة الثانية بعنوان (الحرية بين المسؤولية وممارسة الحق) ألقاها الأستاذ محي الدين درويش، وقد كانت محاضرته خطابا حماسيا مما جاء فيه: أن الحرية في الإسلام ضرورة حتمية يجب أن يسعى لضمانها كل الناس ولا يستأثر بها الأقوياء.

عقب هاتين المحاضرتين كانت مداخلتين الأولى للأستاذ جيلالي شنوف قال فيها: إن المساواة ومنح الفرص للجميع تجعل من الحياة منافسة شريفة تبرز فيها الطاقات النافعة فتتحقق التنمية المرجوة.

أما المداخلة الثانية فهي للأستاذ الطاهر عمارة الأدغم، وقد قرأها نيابة عنه مسؤول الملتقى لتغيبه بسبب وفاة شقيقه، ومما جاء فيها: أن الحرية قيمة أساسية لدى جميع شعوب الأرض قديمها وحديثها.

بعد المداخلتين كانت التعقيبات والمناقشات والمداخلات لينصرف الجميع للإستراحة وتناول اللمجة.

- المحاضرة الثالثة بعنوان (الطريق إلى الحرية

تحقيق للعبودية) ألقاها الأمين العام للجمعية الدكتور عبد المجيد بيرم، ومما جاء فيها قوله: بأن حرية الإنسان مقدسة تماما كما حياته.

- المحاضرة الرابعة بعنوان (سبل الحرية آفاق وتطلعات) للأستاذ خالد إسماعيل، ونظرا لغيابه ألقاها الأستاذ محمد بحري، ومما جاء فيها أن الحرية مقصد شرعي وأن نطاقها في الشريعة أوسع.

وقبل اختتام هذا اليوم الثاني تم تكريم الأساتذة المحاضرين وتكريم طلبة المدرسة في انتظار حفل التكريم بعد شهرين.

بعد ذلك تم تلاوة البيان الختامي (نسخة مرفقة) ثم صعد إلى المنصة الشيخ محمد المهدي جاب الله من ولاية قالمة والذي قضى سبعة عشر سنة طالبا بالإزهر الشريف إذ ختم الملتقى بدعاء، وعاد الجميع إلى مدرسة عموري لتناول وجبة الغداء.

اليوم الثالث من الملتقى هذا اليوم الثالث كان مخصصا للنساء فقط عكس اليومين الأولين حيث كان الملتقى مفتوحا للرجال وللنساء.

و تضمن ثلاث محاضرات:

أ - المحاضرة الأولى بعنوان (المرأة وموقعها من الحرية) ألقتها الأستاذة سامية لموشية.

ب- المحاضرة الثانية بعنوان (المرأة بين التقليد وإثبات الذات) ألقتها الأستاذة جميلة بشور.

ج - المحاضرة الثالثة بعنوان (المرأة المسلمة بين الواقع والمأمول) ألقتها الأستاذة عائشة اوهاب.

وفي نهاية المحاضرات الثلاث مناقشة وإجابة عن الأسئلة ثم تكريمات لبعض الحافظات لكتاب الله تعالى وبهذا انتهت فعاليات الملتقى الذي أثبتت فيه جمعية العلماء أنها كانت وستظل وستبقى مرجعية الجزائريين جميعا.

البيان الختامي للملتقى الوطني السابع للقرآن الكريم بولايـــــة الـــــوادي

في يومي 18 - 19-20 جمادى الأولى 1434هـ الموافق لـ -30 31 مارس و 01 أفريل بدار الثقافة محمد الأمين العمودي بولاية الوادي، نظمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ممثلة في مكتبها الولائي بولاية الوادي، بالتعاون مع مدرسة عموري للقرآن الكريم، الملتقى الوطني السابع للقرآن الكريم الموسوم بـ: الحرية في القرآن الكريم ضوابطها ومجالاتها.

وقد تم اختيار هذا الموضوع نظرا لأهميته وخطورته في ضرورة تحديد مفهوم الحرية وتبيان ضوابطها ومجالاتها وتوضيح مخاطر مصادرتها.

ومن خلال مداخلات الأساتذة ومناقشات الحضور الكريم بكل حرية ومسؤولية خلص الملتقى إلى النتائج الآتية:

-1 أن الحرية حاجة إنسانية وضرورة شرعية.

-2 الحرية المطلقة وهم لا حقيقة لها، لأن الإنسان لم ينقد لخالقه انقاد لهواه.

-3 الحرية تنشئها المسؤولية ويحرسها العدل وسبيلها العلم.

-4 الاستبداد شر كله وأكبر عائق للحرية.

-5 لا سبيل لنهضة حقيقية دون الحرية الكاملة.

كما يؤكد الملتقى على التوصيات الآتية:

-1 ضرورة ترسيخ معاني الحرية وترشيد ممارستها من خلال المؤسسات التربوية والدعوية والإعلامية والثقافية والسياسية والمجتمع المدني.

-2 دعوة المحسنين إلى دعم الملتقيات وطباعة أعمالها.

-3 رصد جائزة لأحسن باحث شاب يعالج موضوع الملتقى المعين.

-4 تكريم شخصية وطنية خدمت موضوع الملتقى المعين خلال مسيرتها الحياتية.

-5 ضرورة التركيز على التراث الجزائري في معالجة مواضيع الملتقيات.

-6 إنشاء موقع إلكتروني خاص بملتقى القرآن الكريم.

وفي الأخير نحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، ونتقدم بأسمى معاني الشكر لكل من ساهم في تنظيم هذا الملتقى والمشاركة فيه وإنجاحه؛ من سلطات مدنية ومحلية وعلى رأسها السيد والي الولاية، والشكر موصول إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ممثلة في مكتبها الولائي بالوادي ومدرسة عموري اللذين نظما هذا الملتقى.

كما نخص بالشكر جميع الأساتذة والضيوف الذين تجشموا مشاق التنقل والصفر وكذا جميع الحضور الذين تحملوا عناء المتابعة والصبر.

والله ولي التوفيق

فقه اللغة

الفرق الدلالي بين «إذا» و«إن» الشرطيتين

يقول الحق تقدس اسمه في محكم التنزيل: {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ} [الأعراف131]

قد لا يستطع البعض التفريق بين أداتي الشرط «إذا» و «إن» من حيث دلالتاهما، وبحسب أن لهما نفس الدلالة، والواقع أن العرب تستعمل كلاً منهما في سياق خاص ومعنى من المعاني.

فـ «إذا» يستعملها العرب حين يكون السبب (الشرط) الداخلة عليه راجح الوقوع فتقول (إذا أتيتني أكرمتك)، حين تكون مرجحاً لإتيانه ولهذا كانت «إذا» تدخل غالباً على لفظ الماضي لدلالة المضي على رجحان الوقوع أيضاً.

أما «إن» فيستعملها العرب إذا كان السبب مرجوح الوقوع، أو راجح العدم، فتقول (إن تأتني أكرمْك) حين تكون غير مرجح لإتيانه، ولا يجوز أن تقول (إن طلعت الشمس أزرك)؛ ولهذا كله كانت «إن» تستعمل في الأمور النادرة وغير الراجحة.

قال الزمخشري في الكشاف في ذيل تفسير هذه الآية:

{فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ}

فإن قلت: كيف قيل (فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ) بـ «إذا» وتعريف الحسنة، و(وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) بـ «إن» وتنكير السيئةَ؟

قلت: لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه، وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها.

ومنه قول بعضهم: قد عدّدتَ أيام البلاء، فهل عدّدتَ أيام الرخاء، وقال الجرجاني في الإشارات: {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ}؛ لأن وقوع الحسنة راجح، ووقوع السيئة مرجوح لكونه نادراً، وهذا يطابق قول الحكماء: إن الخير غالب في عالم الكون، والفساد والشر أقل منه.

وقال بعضهم : ثم ذكر الحسنة بكلمة «إذا» والسيئة بلفظة «إن» حين قال: {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِنَ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ}

فقد جعل مجيء الحسنة كالأصل الثابت فذكره بـ «إذا» والتعريف بلام الجنس، ثم ذكر إصابة السيئة وأتى بها بطريق الشرط ونكر السيئة ليدل على ندرتها وكونها اتفاقية.

وقال غيره: في تعريف الحسنة وتنكير السيئة فن عجيب من فنون علم المعاني، فقد عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الإرادة بإحداثها، ونكّر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندرتها، ولعدم القصد إليها إلا بالتبع، وفي الحسنة والسيئة طباق جميل.

وقال الهاشمي في جواهر البلاغة: الأصل عدم جزم وقطع المتكلم بوقوع الشرط في المستقبل مع «إن»، ومن ثم كثر أن تستعمل «إن» في الأحوال التي يندر وقوعها ووجب أن يتلوها لفظ المضارع لاحتمال الشك في وقوعه، بخلاف «إذا» فتستعمل بحسب أصلها في كل ما يقطع المتكلم بوقوعه في المستقبل، ومن أجل هذا لا تستعمل «إذا» إلا في الأحوال الكثيرة الوقوع، ويتلوها الماضي لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً، كقوله تعالى: {فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ}، فلكون مجيء الحسنة منه تعالى محققاً ذكر هو والماضي مع «إذا»، وإنما كان محققاً لأن المراد بها مطلق الحسنة الشامل لأنواع كثيرة من خصب ورخاء وكثرة أولاد، كما يفهم من التعريف بأل الجنسية في لفظة الحسنة، ولكون مجيء السيئة نادراً، ذكر هو والمضارع مع «إن»، وإنما كان ما ذكر نادراً لأن المراد بها نوع قليل، وهو جدب وبلاء كما يفهم من التنكير في سيئة على التقليل.

وهذا الذي تقدم حول «إذا» و «إن» إنما هو الاستعمال الحقيقي لهما، ومقتضى الظاهر؛

وأحياناً تقتضي البلاغة استعمال إحداهما مقام الأخرى على سبيل المجاز والمعنى الثانوي، فتستعمل «إن» في مقام القطع لنكتة بلاغية لطيفة، فمن ذلك ما ذكره الجرجاني:

- إنكار المخاطب القطع: كقولك لمن ينكر عليك ركوب الأمير «إن لم يركب الأمير فأين فرسه وغلامه؟»

- عدم جري المخاطب على موجب عمله: كقولك لمن يؤذي أباه «إن كان أباك فلا تؤذه».

ومما ذكره الهاشمي في جواهره:

- التجاهل: نحو قول المعتذر: «إن كنت فعلت هذا فعن خطأ».

- تغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به: كما لو كان السفر قطعي الحصول لسعيد غير قطعي لخليل، فتقول: «إن سافرتما أراسلكما».

وتستعمل «إذا» في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه لأغراض، منها:

- الإشعار بأن الشك في ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكاً فيه، بل ينبغي القطع به، نحو: «إذا كثر المطر هذا العام أخصب الناس».

- تغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به: كقولك: «إذا لم تسافرا كان كذا»؛

وهذه أمور لطيفة لا يدركها إلا من تمرس بكلام العرب وعرف سننهم في كلامهم.

قضايا نقدية

الرومانسية في شعر الشابي

أبو القاسم الشابي

نظم الشابي أشعاره في مدى ثماني سنوات أو عشر سنين في الأكثر، ومما يلفت النظر من أمر الشابي أنه ظهر فجأة كشاعر تام النضج، كما يقول الحليوي أو على شيء كبير من النضج على الأصح، وخصوصاً إذا قيس بأنداده المعاصرين حتى أولئك الذين كانوا أكبر منه سناً.

والشابي شاعر وجداني خالص، وهو على صغر سنه شاعر مكثر مجيد، ولقد أجمع الدارسون على أن شعر الشابي مطبوع بطابع المذهب الرومانسي، نشر مصطفى رجب سلسلة مقالات في مجلة الأسبوع التونسية عنوانها «الرومانتيكية والشابي» ثم جمعها في كتاب سماه «شاعران» ولقد رأي مصطفى رجب الخصائص الرومانيكية تبرز عند الشابي في:

اللفظة - العبارة - الأسلوب - القالب - الدعوة إلى الطبيعة - الاستماع إلى النفس - توسيع دائرة الشعر - ابتكار المواضيع - مسايرة روح الموضوع - تأثر العالم الداخلي بالعالم الخارجي - النزعة الإنسانية.

جرى الشابي في شعره على أسلوبين: أسلوب فخم متين النسج جاء به في طوره الأول على الأكثر، وخص به قصائده في الحكمة والرثاء والفخر، ثم أسلوب لين سلس جاء به في القصائد التي أدارها على أغراضه الوجدانية والخيالية. وكان من الطبيعي أن تضم قصائده التي على الأسلوب الأول ألفاظا جزلة وألفاظا غريبة، وأن تكون متخيرة تدل على إحاطة بالقاموس العربي إلى حد كبير.

وتراكيب الشابي كألفاظه تجري مجريين: مجرى أساليب العرب ومجرى آخر كثير التحرر والانفلات من أساليب العرب.

لم يمس زين العابدين السنوسي ولا مصطفى رجب «التركيب اللغوي عند الشابي» أما التليسي فمسه مساً رفيقاً لما قال: «أناقة التعبير ورصانته وأصالته هي الدعائم الأولى التي يقوم عليها أسلوب الشابي، الذي امتاز ببعده عن الركة- يقصد الركاكة- التي أخذت على كثيرين من شعراء المدرسة الحديثة».

وقد أورد التليسي جانباً من قصيدة «تونس الجميلة» للشابي ثم علّق عليها بقوله: «تقوم الرومانسية على الإيمان بالعاطفة وتقديس الشعور والاستخفاف بالعقل والتهوين من شأنه بل تحقيره، لأنه يصيب الحياة بالجفاف فيفقدها أجمل ما فيها، وأجمل ما فيها كان نتاجاً للعاطفة. وقد كانت العاطفة كل شيء في حياة هذا الشاعر الرومانسي».

إن الشابي خيالي التفكير خيالي التعبير يبحث عن مثل أعلى من صنع هذا الخيال فلا يجده في العالم الذي يعيش فيه فينقلب شاكياً باكياً ثم تصطبغ آراؤه وتعابيره بالأسى والحزن والكآبة والوجوم. وقد لاحظ زين العابدين السنوسي يوم كان عمر الشابي خمسة عشر عاماً أنه قد امتلك ناصية الخيال، ورغم أنه سكت عن الخيال عند الشابي بعد ثلاثين عاما، وذلك في كتابه «أبو القاسم الشابي»، فهو يخبرنا بأن التصور عند الشابي قد كان صادقاً حقيقياً لمن عاشرهم وسكنوا نفسه وانطبعوا في روحه، وهي إشباح لأناس حقيقيين ليسوا خياليين، فما كان أبوه رمزاً خيالياً ولا كانت عشيرة صباه بجنة شاعر أو حلم كاذب.

وكان للشابي خيال مولد موغل في الغرابة يصطنع من الأمور العادية مشاهد وقصصاً، ونحن عادة لا نقدر الأخيلة بما فيها من المادة بل بما فيها من الصور وبالقران الذي بين تلك الصور.

ولا شك في أن الجد غالب على ديوان الشابي، ولا ريب في أن اتجاه الرجل كان جدياً حزيناً، ولكن يبدو أن الشابي كان في أيام تلمذته قبل أن يعلم مرضه أو قبل أن يدرك خطورة مرضه يميل إلى الهزل والمعابثة ككل شاعر آخر أو ككل إنسان في صباه.

وأغراض الشابي محدودة في نطاقها، فهي تدور في الوجدانيات وما يتبعها من التأمل في الحياة، وكان الشابي منذ طوره الأول قد قال إنه عازف عن الفنون المألوفة التقليدية مكتف بما يعبرّ فيه عن شعوره، فإذا أغراض الدائرة في ديوانه التأمل في الحياة الطبيعية (الغابة، العصفور، الزنبقة، الخريف، المساء) وفي الحياة الاجتماعية (السياسية والوطنية والحياة الأدبية) وفي الحياة الماورائية (الله، الموت) ثم الموضوعات الوجدانيات (رثاء أبيه، المجد) والموضوعات النفسانيات (الكآبة، الشعر، الأمومة والطفولة)، ثم الغزل والحب.

رباعيات البصائر

شعر: الأستاذ رشيد أوزاني
ra_ouzani@yahoo.fr

أيْـنَ الحـديـقـة ...؟

عَـرَفـتُـها مِـنْ قـبْلُ ، كانتْ جـنَّـةً
وَزُرتُـها أمْـسِ ، فسالتْ أدْمُعي

★★★

حَـديـقـةَ الألـعاب صارَتْ حالُـكِ
مُحـزنـةً بـعُـدَ البَـهـاءِ الأرْوَعِ

★★★

كـنّا نـجـولُ بـيْـنَ وَرْدٍ ضاحِـكٍ
نقـولُ : ما أبْـهى صنيعَ المُبْدِعِ !

★★★

هَـا نحـنُ هـاربـونَ مِـنْ حَـديقةٍ
جفَّتْ ، فـيَا أيّتُها الخطى اسْرعي

لوعة الغربة والاغتراب

نبض: البشير بوكثير : رأس الوادي

هي ثنائية الغربة والاغتراب، التي عزف على وترهما الفنّانون...
وغرف من معينهما الشعراء والمبدعون ...
وتلظّى بنارهما العاشقون المتيّمون...
واستمطر سحائبهما القانطون اليائسون...
وتدثّر بردائهما الوجلون الخائفون...
وأمّل على آهاتهما النازحون المبعدون...
في مخيّمات المبعدين اللاجئين...
في دمشق الفيحاء...
وفي عمّان البتراء...
وفي بيروت الغنّاء...
هنالك بكت هند وخولة وميسون...
على ضياع الأرض والعرض المَصُون...
بين أشجار الأرز وحبّات الحنطة والينسون...
هناك احتلّ الغريب الدخيل...
المسجد الأقصى والبيت الأصيل...
وشرّد المسلم الفلسطيني النبيل...
فصارت الغربة المأوى الجميل...
والجرح الغائر بلسم العليل الكليل ...
حنانيك فلسطين الحبيبة...
ياجنتي على الأرض السليبة...
ويا حلّتي المزدانة القشيبة...
صاحب الدار يوما سيعود...
ولراية الحقّ مرفرفة بها سيقود...
أليس الصبح بقريب يا يهود...؟
جرحك الغائر في الفؤاد...
يا زهرة المدائن كوى الأكباد...
فأضناني الشوق وأرّقني السهاد...
وآلم قلبي طول البعاد...
يا قدس يا قطر الندى...
يا ربيع العمر طول المدى...
أنتِ دائي وشفائي ، أنتِ بلّ الصدى...

طرائف النحاة

أبــوك وحمــاره

حكى العسكري في كتاب التصحَيف أنه قيل لبعضهم: ما فَـعَـلَ أبوك بحمارِه؟!
فقال: باعِـهِ، فقيل له: لم قلت "بَاعِـهِ"؟!
قال: فلم قلت أنت "بحمارِه"؟!
قال الرجل: أنا جررتُه بالباءِ.
فرد عليه بقوله: فلِمَ جَرَّ باؤك وبائي لا جَرَّ؟!

إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات*** إصدارات***إصدارات***إصدارات***إصدارات***

الفرق الإدارية المتخصصة في الجزائر بين المثالية والواقع (1955-1962)

رهان الإدارة الفرنسية لفصل الشعب عن جبهة التحرير الوطني

عن منشورات السائحي صدرت الطبعة الأولى من الترجمة العربية لكتاب «الفرق الإدارية المتخصصة في الجزائر بين المثالية والواقع (1962-1955)»، للباحث الفرنسي غريغور ماتياس، يقع الكتاب في 327 صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على تقديم ومقدمة وخمسة فصول وخاتمة وملحق وثبت بالمراجع.

قراءة: إسلام ساحلي

يتناول الكتاب الذي طبع على نفقة وزارة المجاهدين بمناسبة إحياء الذكرى الخمسين للاستقلال موضوعا حساسا يخص إحدى أهم وسائل الاستحواذ على جماهير الشعب الجزائري في الأرياف لفصلها عن جبهة التحرير الوطني، وهذه الوسيلة الاستعمارية هي «الفرق الإدارية المتخصصة» المعروفة عند الشعب بعبارة «لاساس» وهي بالفرنسية «S.A.S»، وهي مصالح متعددة المهام وتهدف إلى ترسيخ الوجود الفرنسي في الجزائر والتغلغل في أعماق المجتمع الجزائري بإعطاء صورة إنسانية وخدماتية للمحتل من خلال الهيمنة الإدارية.

يتناول الفصل الأول من الكتاب كيفية إنشاء الفرق الإدارية المتخصصة وتشكيل ضباطها، وكان الحاكم العام للجزائر جاك سوستيل هو الذي أنشأها في سنة 1955، وهو خريج المدرسة العليا للإدارة وباحث في علم الأعراق، وكان من بين مساعديه جيرمان تيلون الباحثة في علم الأعراق والرائد فاسنات مونتاي...، والفرق الإدارية المتخصصة أرادت لنفسها أن تكون الوارثة الأمينة لتجربة المكاتب العربية بالجزائر، ومصلحة شؤون الأهالي بالمغرب والتي تعود إلى سنة 1833، عندما أنشأها لأول مرة الجنرال تريزل بعد ثلاث سنوات من احتلال الجزائر، ثم أسندت للجنرال لاموريسير، وكانت تقوم بعمل الشرطة والتفتيش والقضاء والتسيير الإداري.

كتب روبير لاكوست خليفة جاك سوستيل في حكم الجزائر ما يلي: «الفرق الإدارية المتخصصة بعد تنصيبها تواصل نهج المكاتب العربية» وقد بلغ عدد الفرق الإدارية في جميع أنحاء الجزائر حوالي 700 فرقة، إلى جانب عشرات الفرق الإدارية الحضرية التي تعمل في المدن.

الفصل الثاني يتناول في ثلاثة محاور المهام المدنية للفرق الإدارية المتخصصة، وتضم الفرق الإدارية المتخصصة ضباطا عسكريين مكلفين بصلاحيات الموظفين المدنيين، ويكون ضابط الفرقة الإدارية المتخصصة مكلفا بإحصاء السكان ومنح الوثائق الإدارية وتحضير الانتخابات، ويكون له دور كبير في حسم مصير الانتخابات.

ويتعلق المحور الثاني في هذا الفصل بالمهام الاجتماعية والتربوية للفرق الإدارية المتخصصة التي تتمثل في تقديم المساعدة الطبية لسكان الأرياف، وإنشاء المدارس، ويخص

المحور الثالث المهام الاقتصادية وخاصة محاولة إنجاح مخطط الرئيس الفرنسي شارل ديغول المعروف بمشروع قسنطينة الذي كان يهدف إلى تقديم بعض الخدمات الاجتماعية والاقتصادية، وبناء منشآت عمرانية لصرف الجماهير الشعبية عن مواصلة الثورة ودعم المجاهدين في سبيل الاستقلال.

أما الفصل الثالث الذي يتفرع إلى أربعة محاور، فيدرس المهمة العسكرية للفرق الإدارية المتخصصة المتمثلة في مراقبة السكان والحصول على المعلومات لإفشال الثورة وتنفيذ أعمال انتقامية ضد الثوار لتخويف السكان وردعهم عن دعم جبهة التحرير الوطني.

الفصل الرابع ويتفرع أيضا إلى أربعة محاول ويتناول الحالة النفسية لضباط الفرق الإدارية المتخصصة. وكان ضباط الفرق الإدارية المتخصصة رافضين في غالبيتهم لفكرة الاستقلال الجزائر وانفصالها عن فرنسا، وبدأت الشكوك في تصرف القيادة السياسية الفرنسية تراودهم منذ سنة 1959، وفي 18 جوان 1962، صدر قرار حل مصلحة الشؤون الجزائرية، ويقول المؤلف: «الكفاح في المقابل عند البعض لم ينته» فالفكرة المثالية الجزائر فرنسية لم تمت، في 22 أوت 1962 دولاتورناي، أحد ضباط الفرق الإدارية المتخصصة بمنطقة القبائل إلى غاية 1959 سيكون أحد المخططين لمحاولة اغتيال الجنرال ديغول.

وفشل محاولة الاغتيال هذه سيضع حدا لفكرة الجزائر فرنسية بشكل نهائي، ومعها مغامرة الفرق الإدارية المتخصصة التي بدأت شهر ماي 1955، ولكن ضباط الفرق الإدارية المتخصصة لم يتصرفوا جميعا بشكل موحد تجاه قرار وقف إطلاق النار بين الجيش الفرنسي وجيش التحرير الوطني في 19 مارس1962، إذ يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: «بعضهم كانوا طائعين طاعة عمياء وهم يكتمون غيضهم، وبعضهم أصبحوا جنودا ضائعين، بأن تحولوا إلى المنظمة الجزائرية السرية (O.A.S) وآخرون استقالوا وقطعوا كل الروابط مع السكان، وآخرون حاولوا على الرغم من كل شيء ترحيل الراغبين في ذلك نحو الوطن الأم فرنسا».

الفصل الخامس يتفرع إلى ستة محاور، فيركز على فرقة إدارية نموذجية هي الفرقة الإدارية المتخصصة آلما التي تتكون من ثلاث بلديات هي آلما وقورصو والرغاية شرق الجزائر العاصمة، وتأسست في 1 أفريل 1957 وتم تحويلها في 3 ماي 1962 إلى مصلحة الشؤون الجزائرية.

وفي الخاتمة يتعرض المؤلف إلى طريقة جمع مادة الكتاب عن طريق الشهادات الشفوية لثمانية أشخاص عاشوا خبرة الفرق الإدارية وهم مذكورون بأسمائهم ورتبهم وأماكن عملهم في الملحق1 بالكتاب، بالإضافة إلى الأرشيف المكتوب للفرق الإدارية الموجود بمركز محفوظات ما وراء البحار بفرنسا.

هذا الكتاب يقدم معلومات مفيدة عن فترة حافلة بالظلم الاستعماري حتى وإن كان مؤلف الكتاب يرى فيها الوجه الإنساني لفرنسا التي حاولت أن تقدم للسكان الجزائريين خدمات تعليمية وصحية في مقابل دمار الحرب الذي كانت تسببه جيوش الاحتلال في المدن والأرياف الجزائرية.

تلقيح العقول في فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي عبد الله التميمي

الكتاب: تلقيح العقول في فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم.
المؤلف: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد التميمي البصري (توفي أوائل القرن ٦هـ).
دراسة وتحقيق وتخريج: د. طارق طاطمي
نشر: منشورات مركز الدراسات والأبحاث وإحياء

إذا بحثنا في مصادر السيرة النبوية فسنجد عدداً غير قليل من نفائسها قد طواه النسيان، رغم مسيس الحاجة إلى الإفادة منه، ولعلّ من أنفس تلك المصادر التي وفقنا الله عز وجل إلى الاهتداء إليها «كتاب تلقيح العقول في فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم»، تأليف الإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد التميمي، فهو سفر فريد في بابه، وعلق نفيس في موضوعه، أبى واضعه إلا أن يُلقّح به العقول، ويشحذ به الأفكار، بذكر أغلب الأحاديث الواردة في فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويظهر ما اتّصف به من المزايا الكريمة، والخصال الحميدة، وما استحقّه صلى الله عليه وسلم من الدرجة العالية الرفيعة التي امتاز بها عن سائر الأنبياء والمرسلين.

وتتجلى نفاسة هذا الكتاب في جوانب شتى، منها انتماؤه لحقبة زمنية متقدمة امتازت بحسن التصنيف، وجودة الترصيف، ومنها جمعه بين حقلين معرفيين: علم الحديث الشريف والسيرة النبوية، ومنها أنه من أوائل ما أُفرد فيه بالتصنيف، من الدواوين المسندة في موضوعُ الفضائل؛ إذ التزم مصنفه بإيراد الروايات بأسانيدها، ولا يخفى على أحد أهمية الإسناد، وضرورته في توثيق الأخبار، وبيان صحيحها من سقيمها، فهو من الدين ـ كما قال عبد الله بن المبارك ـ ولولاه لقال من شاء ما شاء، وقد بلغ مجموع أحاديث الكتاب قرابة الثمانين وخمسمائة حديث، موزعة على أربعة وثلاثين باباً، مما جعله مصدراً حديثياً خصباً معتمداً في توثيق أخبار فضائله صلى الله عليه وسلم.

ومن مزايا هذا الكتاب المبارك، أنه حفظ لنا جملة من الروايات عن أئمة أعلام، وعن دواوين يعزّ وجودها، وانفرد بإيراد جملة من المرويات المسندة التي لا نكاد نجدها في أي مصدر آخر سواه، بالإضافة إلى تفرّده بذكر مجموعة من شيوخ الرواية، وبالأخص شيوخ المصنف البصريين، وشيوخ شيوخه وغيرهم، ممن يندر وجود تراجمهم، أو حتى ذكرهم عرضاً في أي مصدر من المصادر المتوفرة، وزد على هذا وذاك: أن الكتاب يعرّفنا بإمام كبير من قطر إسلامي عزيز، ألا وهو الإمام أبو عبد الله التميمي البصري المتوفى أوائل القرن السادس الهجري، فبالرغم من إغفال ذكره في كتب التراجم ـ لسبب لم ندركه بعد ـ إلا أن بعض الإفادات والإشارات المتفرقة في بعض المصادر، تؤكد أن الرجل كان من كبار علماء البصرة، وأن كتابه الذي بين أيدينا من الكتب التي اشتهرت وسارت بها الركبان.

فقضى الله عز وجل إذن أن يمكث هذا العلق الثمين حبيس الخزائن دهراً طويلا قارب تسعة قرون، إلى أن يشاء سبحانه وتعالى أن تقف عليه أيادي مغربية بخزانة الدولة ببرلين، فتحوز فضل دراسته وتحقيقه ونشره.

نقلا عن موقع رابطة المحمدية للعلماء/ المغرب

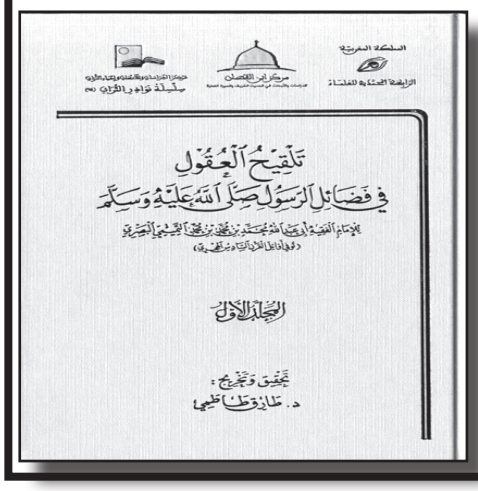

عــرض: زبيــر طـوالبــي (الثعالبي)
zoubir.toualbi@gmail.com

برمجت الشعب الولائية والبلدية على مستوى الوطن، تظاهرات ثقافية بمناسبة يوم العِلم، كانت في مجملها إيجابية، ننشر بعضها للإطلاع:

ولاية سطيف

عين ولمان تجمع علماء الجمعية والجزائر لتدارس سبل ترقية المجتمع الجزائري وتطويره

اختتمت يوم السبت 18 حمادى الأولى 1434هـ الموافق لـ 30 مارس 2013 أشغال الملتقى الوطني الذي نظمته شعبة عين ولمان على مدى يومين كاملين، والذي نشطه نخبة من الشيوخ والدكاترة والأساتذة من مختلف ربوع الوطن، لمناقشة موضوع «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين- مشروع لترقية المجتمع الجزائري وتطويره» انطلاقا من كل المقومات المجتمعية الجزائرية التاريخية منها والحاضرة، والتي لعبت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورا أساسيا من خلال تاريخها النضالي والإصلاحي.

فبعد استقبال الضيوف والمشايخ من طرف القائمين على الشعبة وخيرة نجباء تلامذة مدارسها القرآنية، وبرفقة السلطات المحلية تم افتتاح المعرض المرافق لأشغال الملتقى، والذي تضمن صورا لمختلف نشاطات الشعبة السابقة وكذا جناحا لبيع مختلف الكتب الخاصة بجمعية العلماء ومشايخها وتاريخها وفكرها.

بعدها مباشرة، افتتحت أشغال الملتقى بآيات بيّنات من الذكر الحكيم، تلاها النشيد الوطني، وأنشودة ترحيبية قدّمتها فرقة بلابل الجمعية.

الجمعية قادرة على بعث المجتمع الجزائري من جديد

الكلمة الافتتاحية التي تفضل بتقديمها الأستاذ عبد الفتاح داودي رئيس شعبة عين ولمان، أكدت الدور الرئيسي الذي لعبته الجمعية في بناء هوية المجتمع الجزائري، وقدرتها بمشايخها ورجالها وشبابها ومفكريها على ترقية المجتمع الجزائري لمراتب أعلى مما هو عليه في حاضرنا .

كما أكد الشيخ أحمد ظريف رئيس المكتب الولائي للجمعية بسطيف في كلمته الترحيبية على نجاح القيم المجتمعية التي بعثها الشيخ عبد الحميد بن باديس وإخوانه في جمعية العلماء في الناس، حتى عاد لهم وعيهم وأدركوا رسالتهم بعدما كانوا مكبلين بقيود الاستعمار والجهل.

كلمة الأستاذ مكركب ممثل المكتب الوطني:

في كلمته وفي بدايتها شكر كل الذين عملوا على إنجاح هذه المبادرة التي تعتبر بحق إضاءة أخرى في جبين مدينة عين ولمان وولايتها، فمثل هذه التظاهرات الثقافية تبعث روحا محصنة لجميع الفعاليات الإيمانية الأخرى، لتطوير عملها وإنجاحه. وإن الموضوع الذي أختير لهذه التظاهرة الثقافية دليل على الوعي الثقافي لدى أعضاء الشعبة، لأن جمعية العلماء منذ نشأتها وهي تعمل على جمع شمل الأمة، ورص صفوفها، فبالأمس من أجل طرد المستعمر والحفاظ على الهوية الوطنية والإسلامية، واليوم من أجل رص الصفوف وبناء الوطن وتعزيز دور الإسلام، شاكرا في الأخير الولاية ومصالحها، والدائرة والبلدية، ومديرية الشؤون الدينية، الذين كانوا بحق الدعامة الأساسية في نجاح هذا الملتقى.

كلمة الشيخ زبير طوالبي عضو المكتب الوطني:

في كلمته قدّم شكره لكل الذين عملوا على مد يد المساعدة لأعضاء الشعبة، مبديا إعجابه بالإنجازات التي قامت بها شعبة عين ولمان، وإلى جانبها الشعبة الولائية لسطيف برئاسة الأستاذ أحمد ظريف، وأشار أيضا إلى حسن التنظيم الذي لوحظ على مجريات التظاهرة التي قال عنها بالخصوص: «إنني أعود إلى العاصمة وأنا مطمئن على جمعية العلماء في الشرق الجزائري، وبالخصوص في هذه الولاية المضيافة، ولاية الجهاد والعلم والتضحيات في إنجاز كل ما هو وطني إسلامي».

وفي الأخير قدّم اعتذارا باسم رئيس الجمعية الدكتور عبد الرزاق قسوم، الذي يوجد في مهمة رسمية في إطار نشاطات جمعية العلماء خارج الوطن، والذي تمنى كل نجاح وتوفيق لأعمال الملتقى.

جمعة العلم والإيمان بعين ولمان

بعد الجلسة الافتتاحية الصباحية تم توزيع شيوخ الجمعية على مساجد المدينة التي لتقديم دروس الجمعة في كل منها، المواطنون استبشروا خيرا بهذه البادرة الأولى من نوعها بالمنطقة، فمساجد عين ولمان يومئذ زادت نورا ورونقا باستقبال خيرة أبناء الجزائر البررة.

شكر خاص لمديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية سطيف

كما لا يفوت لجنة تنظيم الملتقى أن تتوجه بالشكر الخالص لمديرية الشؤون الدينية ولأوقاف لولاية سطيف، وعلى رأسهم السيد المدير الذي أبدى التعاون اللامتناهي من أجل نجاح الملتقى، من خلال تسهيل مهمة المشايخ في تقديم الدروس في مساجد المنطقة، وكذا تقديم النصح والتشجيع للقائمين على الشعبة في جميع نشاطاتها في كل مرة.

بداية نهب هوية المجتمع الجزائري بدأت من خلال محاربة الوقف فيه

في الجلسة الثانية التي بدأت أشغالها بعد صلاة الجمعة، أكد الأستاذ طارق بن الشين عضو المكتب الوطني المكلف بالشؤون القانونية على أن التاريخ واضح المعالم في هذا الشأن، إذ أن فرنسا أول ما بدأت به لزعزعة المجتمع الجزائرية هو تقييد جميع الأوقاف الموجودة في الجزائر، حيث كانت تحت تصرف المستعمرين وأفراد الجيش الفرنسي والكنيسة أيضا، حيث حول الكثير منها لثكنات وكنائس، وخير شاهد على ذلك هو استشهاد 4000 جزائري في الدفاع عن مسجد كتشاوة حيث أن المستعمر قتلهم جميعا بين فترة لا تتجاوز الوقت بين الفجر والظهر، كما حاربت فرنسا الهوية الإسلامية في المجتمع الجزائري آنذاك من خلال تكثيف رسائلها التنصيرية بشتى أنواعها.

جمعية العلماء تتمسك بما كل هو جزائري وتأبى أن يزول الجزائري بمعناه الحقيقي

أكد محدثنا مستطردا في حديثه على أن دور جمعية العلماء في المحافظة على المجتمع بأصوله وتقاليده كان أساسيا، من خلال الدفاع عن القيم الوطنية والإسلامية في المجتمع والوقوف في وجه كل ما يمس أعمدة المجتمع، من خلال محاربة الخطة الإدماجية المنتهجة من طرف المستدمر الفرنسي الغاشم .

التطوير هو السبيل الوحيد لإحداث التغيير

وفي مداخلة الدكتور عبد المجيد بيرم الأمين العام للجمعية، شرح بدقة مشروع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتطوير المجتمع الجزائري من خلال الاعتماد على التربية، هذا الطريق الذي يستوجب صبرا وتأطيرا على المدى الطويل، يؤتي ثماره المؤكدة كما هو معمول به في الجمعية وكما تبينه نتائج التجارب الرائدة عبر العالم، كما دعا الدكتور إلى رسم إستراتيجية دقيقة بالتنسيق مع المدارس عبر ربوع الوطن، فلا يمكن تطوير المجتمع إلا من خلال تنمية الفرد وتعليمه، وكما قال الدكتور فإن رسالة التربية والتعليم هي العمود الفقري للجمعية وهي من أعظم مقاصدها، وأن المدرسة هي الهوية الحضارية للمجتمع.

أسس الجمعية التربوية هي المنارة التي تنير طريق تطوير المجتمع

الدكتور عبد الرحمن تلي من جامعة البليدة دعا من خلال مداخلته لتنظيم وتأطير المدرسة عامة، ومدارس الجمعية خاصة، وتفعيل العلم والعمل لدى أفراد المجتمع، كي لا يبقى الفرد عالة على الآخرين، وليكون النسيج المجتمعي أكثر قوة، كما دعا إلى العناية باللغة العربية عناية خاصة مع التفتح على باقي اللغات الأجنبية، وأيضا التشجيع على تعليم المرأة عملا بالتقاليد الباديسية، حيث كان البنات يتعلمن في مدارس الجمعية مجانا لأن المرأة هي عماد البيت والبيت هو المدرسة الأولى للفرد.

لا نهضة لأمة إلا بنهضة رسالة «إقرأ»

وفي مداخلة الأستاذ عبد الله تخنوني في جملة التعقيبات على أشغال الفترة الثانية من الملتقى، أشار إلى كون المستعمر الفرنسي حارب بشراسة من أجل منع وصول العلم لعقول الجزائريين، لأنه ببساطة كان يعتبر كل من يستطيع العد من الواحد للعشرة خطرا على النظام العام، ومن هنا تتجلى عظمة رسالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفضلها في نشر نور العلم بين أفراد المجتمع، وهي الرسالة الحالية التي يتوجب الإعتناء بها لنسير على درب بن باديس.

رحلة على خطى الإبراهيمي

ومع اختتام الفترة الثانية من اليوم الأول وأداء صلاة العصر جماعة،

سار جمع غفير من الضيوف بقيادة أعضاء الشعبة متجهين نحو بيت الشيخ العلامة البشير الإبراهيمي رحمه الله، والذي يتواجد بمدينة أولاد براهم، حيث ألقى الشيخ محمد مكركب عضو المكتب الوطني المكلف بالدعوة كلمة في الحضور، حاثا إياهم على تطوير هذا المعلم التاريخي وترقيته لمنشأة علمية وثقافية تكون معلما من معالم الجمعية.

زاوية أحمد بن سليمان ببلدية أولاد سي أحمد تكرم علماء الجمعية

وبعد الجولة السياحية لبيت الشيخ الإبراهيمي توجه جمع الضيوف الكرام لزاوية أحمد بن سليمان، أين نشط الشيوخ ندوة تحت عنوان: «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومرجعية الأمة»، أدارها الإمام المعتمد لمدينة عين ولمان الأستاذ عزوز الواسع، وناقش من خلالها كل من الشيخ أحمد مكركب، والشيخ حسين بوطاوي، والأستاذ عبد الله تخنوني، إشكالية المرجعية الدينية في الجزائر، وإتباع الصادقين من خيرة أئمة الأمة ومشايخها و أعلامها كي نعود لسابق عهدنا في ريادة الأمم .

فكر وفلسفة جمعية العلماء في خدمة مشروع المجتمع الجزائري

ومن خلال مجريات اليوم الثاني الذي استهله الشيخ محمد مكركب بشرح وافٍ لسياسة الجمعية، من خلال تفعيل الآليات المتاحة من أجل بلوغ الأهداف المنشودة في مشروع المجتمع الجزائري، وللسير بمنهجية «العمل وثم العمل» لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن إصلاح العلاقة بين الفرد وأخيه لا يكون إلا بإصلاح علاقتنا بالله عز وجل، فالعناية بالعلوم والأخلاق والعمل بها من أسس الجمعية المعبرة عن منهجها .

أما الدكتور عمار جيدل من جامعة الجزائر، فحدّث الجمع الغفير الذي إكتظ به مدرج معهد التكوين المتخصص في التكوين المهني بعين ولمان، عن المقومات التي يجب أن يكون عليها الفرد الجزائري في مختلف مجالات الحياة، في عمله وتعليمه ومعاملاته مع الناس ومعاملاته مع الله وعز وجل، وكيف يتفاعل الفرد مع الجميع حتى من هم على غير دين الإسلام، كي تكون قضية نجاة المجتمع قضية مجموعة وليست قضية أفراد، فصلاحنا في قوة تلاحمنا وتراحمنا فيما بيننا .

كلمة لابد منها:

باسم المكتب الوطني، رئيسا وأعضاء، نقدم شكرنا وتقديرنا لأعضاء شعبة عين ولمان بالخصوص، وإلى أعضاء المكتب الولائي الذين ساهموا بكل الإمكانات المتاحة لهم لتحقيق أهداف ملتقاهم الثقافي الفكري، ولا ننسى تجديد شكرنا لمسؤولي الولاية والبلدية والأمنية على الوقوف المشفع بالتشجيع لشعبة عين ولمان وسطيف، ونثمن مشاركة السيد رئيس دائرة عين ولمان الذي لم يفارق ولم يغادر أشغال الملتقى من البداية إلى النهاية، وهذا دليل على الإلتحام المطلوب بين القمة والقاعدة.

ونثمن أيضا مشاركة مصالح مديرية الشؤون الدينية والأوقاف

لولاية سطيف ومديرها، الذين أبوا إلا أن يفتحوا مساجد الدائرة لأساتذة ومشايخ الجمعية الذين شاركوا في تنشيط جمعة التطور والفعالية.

فشكرا للجميع.

إلى الســادة رؤســاء الشعب الولائية

في العدد الماضي من الجريدة نشرنا في صفحة نشاط الشعب (إعلان وتذكير) واستعدادا لمؤتمر الجمعية المقرر ليومي 31 ماي و01 جوان 2013 بالمركز العائلي بزرالدة، وفي باب المشاركة المالية للمؤتمرين، حدد مبلغ المشارك بـ 3.000دج، والصواب: يعفى المشاركون من هذا المبلغ المذكور. فمعذرة.

محاضرة
لمحمد الصغير بن لعلام

الجاليـــة الجزائريـــة في بلاد الشـــام

ذكر علماء الاجتماع أسبابا عدة للنزوح عن الأوطان والجلاء عنها، والهجرة منها، فبعض هذه الأسباب إرادية واختيارية إما لطلب الرزق، فإن كثيرا من الناس، أفرادا، أو جماعات، يهاجرون من أوطانهم لرغبة ملحة في نفوسهم، ومنبثقة من ذواتهم، للحصول على العيش الأمثل، والمستوى الأعلى، أحسن مما كانوا فيه، أو أن أوطانهم لا توفر لهم مناصب شغل تكفيهم مؤونة حياتهم، أو أنهم هاجروا لأسباب سياسية، والسبب الثاني الذي يدفع بالناس إلى مغادرة الأوطان، هو طلب العلم أو الاستزادة منه، وربما كان هذا أشرف أسباب الهجرة، وكان هذا دأب أجدادنا، في عهودنا الزاهرة.

وهناك هجرة أو جلاء عن الأوطان، في ظاهرها اختيارية، ولكنها في الحقيقة إجبارية، فرضها الاستعمار الذي احتل الأوطان، ومن هذا النوع الجلاء الإجباري، ومغادرة الأوطان بالإكراه، تُصنف هجرة الجزائريين نحو بلاد الشام ابتداء من 1847 واستمرت إلى 1873، فهم لم يجلوا، ولم يغادروا وطنهم، لأنهم أرادوا ذلك أو رغبوا عنه، أو أن هذا الوطن لم يسعهم وضاق بهم ذرعا، بل أجلو وأجبروا على ذلك وأكرهوا، بعد المعركة الفاصلة، في (إيشرضن) في ضواحي الأربعاء ناث إيراثن بين المجاهدين، بقيادة المجاهدة، لالا فاطمة نسومر، والجيش الاستدماري الفرنسي، الذي كان يؤطره سبع جنرالات، بقيادة المارشال راندو والتي انجلي الغبار عنها، بكل أسف لصالح القوات الاستدمارية، يوم 24 جوان 1857 ثم ألقي القبض على القائدة البطلة، التي أطلق عليها الفرنسيون لقب (نبية القبائل) يوم 11 جويلية من نفس السنة، وانتهت بذلك فصول الملحمة البطولية، لسكان منطقة زواوة، التي دامت ما يقرب من 15سنة، بداية من 1842 إلي 1857، بقيادة الشيخ الجليل محمد المهدي السكلاوي، في البداية، ثم لالا فاطمة بعد ذلك.

لقد وجد سكان المنطقة أنفسهم في مفترق الطرق، هل يستسلمون للأمر الواقع، ويرضون بالذل والهوان، ويعرضوا أنفسهم وأهليهم إلى الهلاك بل الإبادة، وهم الذين بذلوا النفس والولد والمال، من أجل الحرية والكرامة؟ ويخضعون لحكم الكافر؟وفتوى شيخهم المهدي السكلاوي التي أصدرها قبل رحيله إلى الشام، منذ عشر سنوات ماثلة أمام أعينهم، تنص صراحة على عدم جواز الإقامة تحت حكم الكافر.

فاستقر رأيهم على الجلاء والهجرة، ولكن إلى أين؟ إلى بلاد الشام، ولماذا بلاد الشام بالذات؟ ولما لا تونس أو ليبيا أو مصر، وهي أقرب إلى الجزائر من بلاد الشام، سؤال يطرح نفسه، قد يقول قائل لأن شيخهم قد سبقهم إلى هناك، فأرادوا اللحاق به، قد يكون ذلك صحيحا شيئا ما، ولكن ليس الجواب كله، لأن السؤال يطرح حتى بالنسبة للشيخ نفسه، فلماذا لم يمكث في اسطنبول حيث أوصلته الباخرة، والحقيقة أن قلوب الجزائريين بصفة عامة، والزواويين منهم بصفة أخص تهفو دائما لبلاد الشام، وأن عيونهم ترنو إليها وعقولهم تتمناها منذ العهود الإسلامية الأولى، وخاصة العلماء، منهم قد يطوفون بالمشرق كله، ولكنهم في الأخير يستقرون في بلاد الشام، وسنكتشف في كتب التاريخ، أن أول هؤلاء العلماء، هو محمد بن محرز بن محمد الوهراني، الملقب بركن الدين الذي مر بمصر، ثم استقر في دمشق أيام صلاح الدين الأيوبي، وكلف بالتدريس والخطابة، في مسجد داريا، بضواحي دمشق، إلى أن مات فيها سنة 557.

وقبل أن أستعرض مراحل هذه الهجرة أو حلقاتها، أسجل أنها تختلف كلية عن الأخريات التي قام بها أبناء الجزائر نحو الخارج. إنها هجرة قسرية إجبارية فرضتها ظروف الاحتلال، وأن المحتل نظرا للمقاومة الشديدة، التي أبداها سكان منطقة زواوة ضده، مما أخر الاستلاء عليها 27 سنة عن الجزائر العاصمة، وهي لا تبعد عنها إلا بـ100 كلم، سيعمل على تصفية حساباته معهم، عندما يتم القضاء نهائيا، على بعض جيوب المقاومة التي ما تزال تنشط، وقد أشار إلى ذلك تقرير لقيادة الجيش الفرنسي بعنوان (احتلال القبائل).

إنها هجرة جماعية، تعد بالآلاف، لم تشهد لها الجزائر مثيلا، عائلات كلها، بل أحيانا قرى بكاملها أو جلها، ذكرانا وإناثا، صغارا وكبارا، وخاصة في جبال الأربعاء ناث إيراثن، وعين الحمام، وعزازقة، إنها منظمة ومنضبطة ومتضامنة ومتكافلة.

إنها لم تكن للبحث عن العمل أو طلبا للرزق أو لتحسين المستوى وإنما أنفة، وعزة، وكرامة، وتفويت فرص الإبادة ضدهم من المستدمر، كالتي قام بها في مناطق أخرى من الوطن، بل وشرع في ذلك فعلا، فقد ذكر التقرير الذي أشرت إليه آنفا وهو يتحدث عن ابن يني كأحد جيوب المقاومة التي ما تزال تنشط، فقال: «إن قرية آيث الأربعاء كان عدد سكانها آنذاك 8000 نسمة».

وهكذا رأينا أن هذه الهجرة، تختلف عن الأخريات في المنطلق والكيفية والأهداف. وعندما تذكر الجالية الجزائرية بالشام، ينصرف ذهن كثير من السامعين، إلى الأمير عبد القادر فيقول: «الذين ذهبوا مع الأمير عبد القادر»وهذا المفهوم للهجرة الجزائرية هو جزء من الحقيقة فقط، إذ الحقيقة تقول أنها من ثلاث مجموعات :

المجموعة الأولي: هي مجموعة 1847، التي سافرت بالباخرة التي أعدتها فرنسا، لخليفة الأمير عبد القادر في منطقة القبائل ومتيجة، أحمد الطيب بن سالم، حسب الاتفاق الذي وقع بينهما، لتذهب به إلى المشرق، وله أن يأخذ من يشاء من أهله، ومن معه، وكان عدد أفراد هذه المجموعة حوالي 400 فرد، وكان من المقرر أن تنطلق هذه الباخرة من الجزائر حسب الاتفاق يوم 24/ 9/ 1847، وتكمن أهميتها في أنها تضم قيادة الجهاد، فيما يسمى بالقبائل السفلى العسكرية منها والدينية، فإلى جانب الخليفة وحاشيته، نجد الشيخ محمد المهدي السكلاوي، القائد الروحي للمجاهدين، ومعه تلميذاه اللذان خاضا معه ومع الخليفة، كل المعارك التي دارت بين الجيش الفرنسي والمجاهدين، طوال خمس سنوات من 1842 إلى1847 وهما الشيخان محمد المبارك الدلسي، وصالح الصمعوني، وإلى جانب الشيخين ما يقرب من مائتين من الإخوان الرحمانيين، وقد استقر الشيخ وجماعته في دمشق، أما الخليفة أحمد الطيب بن سالم فقد اختار عكة بفلسطين.

المجموعة الثانية: هي المجموعة التي رافقت الأمير عبد القادر أو لحقت به أو سبقته، وقد وصل الأمير إلى دمشق حسب المؤرخين سنة 1855 وكانت هذه المجموعة أكثر عددا بكثير من الأولى، إذ تعد بالآلاف ولكن لا يمكن لأحد أن يحدد عددها بالضبط، وينتمون إلى مختلف جهات الوطن وخاصة أقارب الأمير وأعوانه، وبعض العائلات التلمسانية، مثل عائلات مزيان، وصاري، ويلس، ويلس شاوش، ولحق بهم فيما بعد الشيخ محمد بن يلس وتلميذه الشيخ الهاشمي.

المجموعة الثالثة: هي التي أشرت إليها في البداية، وهي التي وقعت بعد فشل المقاومة من الانتصار على جيش المستدمر في المعركة الفاصلة، معركة (إيشرضين) لذا كانت الأهم، لأنها الأكثر عددا عدة مرات من السابقتين، إذ فاقت العشرة آلاف، كما أكد لي بعض شيوخ الجالية، الذين تعرفت عليهم أثناء وجودي في دمشق، ثم إن تسعين في المائة منهم من منطقة واحدة كما ذكرت من قبل، ولهذا فهي أكثر تماسكا وأكثر تنظيما وانضباطا، وقد بدأت رحلة الأمل وفي نفس الوقت رحلة المشقة والعذاب بل رحلة الموت والفناء، في البراري بين زواوة وميناء بنزرت التونسي، أو في البحر، من بنزرت إلى الإسكندرية في مصر، ثم أزمير في تركيا ثم عكا في فلسطين، وقد تركوا بعضا منهم في تونس، وبعضا في مصر، إما لوهن، أو مرض أولم تعد تحدوهم الرغبة في مواصلة المسيرة، وقد كانوا يخرجون أفواجا أفواجا حسب الظروف المواتية وحسب الاستعدادات ودامت هذه الرحلة 17 سنة من 1857 إلى 1873، وبعد إقامة قصيرة في فلسطين وبعد أن انتهى إلى مسامعهم بأن الأمير عبد القادر استقر بدمشق، سارع جلهم بالانتقال إلى دمشق، أما الباقي فقد استقروا في فلسطين، وبنوا قرى لهم فيها، وأشهرها قرية (ديشون) وقد حافظوا على لغتهم الأمازيغية، ولا يستعملون غيرها في أوساطهم، إلى أن أجبروا على الجلاء مرة أخرى مع الفلسطينيين الآخرين سنة 1948 إلى دمشق.

ويجب أن نشير إلى أن سكان دمشق قد استقبلوهم استقبالا حسنا وقدموا لهم المساعدات وكل ما يحتاجونه بل فتحوا لهم مجال العمل في المصانع والمزارع والمتاجر.

لقد اجتمع شمل الجالية إذا في دمشق، السابق منهم واللاحق، وقد مهد لهم سبيل الاستقرار، في أحد أحياء دمشق القديمة، يسمي بـ (سويقة) وما جاورها، شيخهم محمد المهدي السكلاوي، لما له من مكانة وحضوة، لدى والي دمشق، أحمد عزت باشا، ثم إنه اتخذها هو نفسه، وتلميذه الشيخ صالح مقرا لهما، وهذا الحي على بعد خطوات من الجامع الأموي، وأصبح منذ ذلك الوقت يعرف بحي المغاربة، إلى جانب اسمه القديم، وقد أنشئ فيه خان يسمى بخان المغاربة يقصده كل مغاربي وفد إلى دمشق، وقد زار هذا الخان كبار السياسيين المغاربة في العهد الاستدماري أمثال الشيخ البشير الإبراهمي، والفضيل الورتلاني، والحبيب بورقيبة وآخرين، كما أن للحي مختارا يسير شؤون الحي وينتخب منهم، لقد اتخذت هذه الجالية لنفسها منذ البداية نظاما صارما وانضباطا كاملا وسلوكا موحدا حتى تضمن لنفسها البقاء كجالية جزائرية متميزة تحافظ بكل مقوماتها بكل تراثها وثقافتها، ولذلك فقد كانت تعيش حياتين مختلفتين، حياة عامة مع أهل البلد فهي جزء حي نشط في مختلف نواحي الحياة التي تهم الفرد، والمجتمع، والوطن، بل قد كان لها السبق في بعض الميادين كما سنرى بعدُ، وحياة خاصة بها، كجالية جزائرية احتفظت بكل تراثها الذي ذهبت به من وطنها ولم تتنازل حتى عن أبسط الأشياء، التي قد نرى أنها لا أهمية لها، كترديد لا إله إلا الله على الجنازة، وحملها على الأكتاف، أما مسألة اللغة فهو شيء مقدس لا يجوز المساس به حتى في الجيل الثاني والثالث، وقد وجدت من اتصلت بهم يتحدثون الأمازيغية ربما أحسن مني، وكذلك الأدب المروي والأغاني..الخ، ولم يكن كبراؤهم يشجعون التزاوج ذكرانا وإناثا، من أهل البلد، ولا يقع ذلك إلا نادرا، حتى تحافظ على مقوماتها الأساسية وتماسكها، ولا تتعرض للتصدع والذوبان، وتبعا لذلك فقد احتفظ كثير منهم، وربما أكثر من النصف بجنسيتهم الأصلية إلى غاية1962 حبا منهم لوطنهم واعتزازهم بجزائريتهم وانتظارهم للفجر القريب،كما امتازت بالتكافل المطلق وخاصة في الفترة الأولى من حياتهم. لقد كان لهذه الجالية بفضل انضباطها وجديتها وتفانيها في العمل ومسايرتها للمستجدات، وبروز قيادات علمية، وفكرية، وسياسية، من صفوفها دور أساسي في مسيرة المجتمع السوري، وأول هذه القيادات، هو الشيخ محمد المهدي السكلاوي اليارثني، الجزائري، الذي كان يقود الطليعة الأولى للهجرة، ثم الشيخان اللذان صحبا شيخهما في الهجرة.

الأول محمد المبارك الدلسي: الذي يقول عنه البيطار أنه لما استشرف دمشق خرج أهلها، الأشراف، والعلماء، والتجار لاستقباله، وكان لهذا الشيخ، ثلاثة أبناء كلهم علماء، في مختلف العلوم والفنون، يوصفون بالفضل، والعلم الغزير، محمد، والطيب وعبد القادر وتخرج على يديهم خلق كبيركما يقول البيطار، والأخير منهم، كان عضوا في المجمع العلمي العربي، ومن أحفاد الشيخ المبارك، العلامة الدكتور محمد المبارك، عميد كلية الشريعة، في جامعة دمشق، في الستينات من القرن الماضي، وكان كثير الحضور في ملتقيات الفكر الإسلامي، التي كانت تعقد هنا في الجزائر، وهو من أحسن من ألف في فقه اللغة، في العصر الحديث، وكان عضوا في المجمع العلمي العربي، في دمشق، وأخوه الدكتور مازن مبارك، وقد درست عليه شخصيا فقه اللغة، في جامعة دمشق في الستينات من القرن الماضي.

والثاني: هو محمد الصالح السمعوني الوغليسي، وكان كاتبا وفقيها ومؤلفا وقد أسند إليه منصب القضاء المالكي في دمشق، بعد وصوله إليها، وهو آخر القضاة الزواويين في بلاد الشام، ونعلم ما للقضاة من تأثير في المجتمع، ولكن مع كل ذلك فإن أهمية الشيخ الصالح تكمن في كونه والد الشيخ الطاهر الجزائري، رائد النهضة العربية في الشام، الذي يقول فيه ابن باديس «هذا الأستاذ العظيم، من أبناء الجزائر الكثيرين، الذين ظهر نبوغهم في غير وطنهم، ودلوا على أن الطينة الجزائرية، طينة علم وذكاء إذا واتتها الظروف» ذو السبع لغات، وذو عشرات التآليف، وباعث النهضة العلمية في بلاد الشام، ومؤسس التعليم الحديث في سوريا، ومنشئ دار الكتب الظاهرية، وأستاذ كل الذين حملوا لواء التقدم والتطور، في جميع الميادين.

ونأتي الآن إلى الأمير عبد القادر، وأولاده، وأحفاده، لن أقف كثيرا عنده، لأن بعض الأسطر، أو بعض الصفحات، لن تمكننا من الإحاطة بالأعمال التي قام بها، وأولاده والجالية الجزائرية في بلاد الشام، الأمير عبد القادر هو الملك غير المتوج في بلاد الشام، لا يمكن أن يحدث شيء في كل المجالات بدون أخذ رأيه واستشارته، وهو عند حسن ظن الجميع، ومواقفه الفاصلة كثيرة، ولكن سأكتفي بالإشارة إلى قضية حمايته للمسيحيين، من مجزرة المتعصبين، ولو أن الآراء اختلفت في هذه القضية، ولكن مهما يكن فقد استطاع بفضل تجنيده للجالية، التي أمدته بجيش أن ينقذ تلك الأرواح واكتسب بذلك سمعة عالمية، أعلت قدره ورفعت درجته عند الأمم.

وقد بقيت هذه الجالية، تلعب الأدوار الأساسية، في مختلف أوجه الحياة العملية والعلمية والسياسية، وفي السبعينات من القرن الماضي، تولى اللواء عبد الرحمن خليفاوي وهو من صميم هذه الجالية من ضواحي مدينة عين الحمام، منصب رئيس مجلس الوزراء مرتين، وقد كان قبل ذلك، نائب القائد العام للقوات العربية الموحدة، ثم قائدا للقوات المدرعة في الجيش السوري، وهو الذي ترأس الوفدين الرسمي والشعبي، اللذين رافقا رفات الأمير عبد القادر في 1966، ثم انسحب من الحياة السياسية نهائيا، وقد سألته عن سبب انسحابه هذا، فأخبرني بأن النظام قد انحرف عن الخط الذي اتفقنا عليه مع الرئيس.

مقتطفات من محاضرة ألقيت في المجلس الإسلامي الأعلى

مراجعة نقدية لبعض مقاصد الخطاب الحداثي العربي 1/

بقلم: الدكتور فؤاد مليت

إن الناظر في أدبيات الحداثيين من العرب المعاصرين لا يمكنه أن يخطئ وجود ظاهرة، صارت لازمة متكررة، بحيث يحمل هذا التكرر المتواتر لها على أن يلتفت الدارس إليها وأن يوليها عنايته، فإن حضورها البارز- والمقلق في آن واحد- لا ينبغي أن يمرَّ دون فحص أو مساءلة؛ والذي نعنيه بهذه اللازمة هو ما نشهده من هيمنة خطاب الدعوة إلى الحداثة على أكثرية ما يكتبه الحداثيون من نصوص- على تفاوت شديد في قيمة هذه النصوص وجدية بعضها-، أيا تكن طبيعة هذه النصوص، من مصنفات أو دراسات مطولة أو أطروحات جامعية، ناهيك عن المقالات الظرفية ذات الطابع السجالي، في المجلات الفكرية ذات الشأن العام، فضلا عن تلكم الدوريات المتخصصة التي حملت همَّ الحداثة، وتبنَّت خطابا منافحا عن منجزاتها وداعيا إلى ضرورة تلبس الفكر العربي المعاصر بها.

ولئن كان الرواد الأوائل الداعون إلى الحداثة قد انخرطوا في مشروعهم، من غير اجتهاد منهم في تأصيل مفهومها، نعني من دون خطة واضحة أو رؤية متبصرة ومحددة لطبيعة ما يدعون إليه، وكان «من الصحيح أيضا أن ممثلي الخطاب الحداثي العربي قلَّما انصرفوا إلى التفكير الفلسفي الصرف»1، فإن الطور الحالي لمتفلسفة العرب المتأخرين، لم ينْجُ هو الآخر من اضطراب المفهوم وعدم وضوح دلالته في الجملة، فإن حديثهم عن «المعاصرة»، و«التحديث»، و«التجديد»، و«التقدم»، و«التحيين»، و«فلسفة اليومي أو الراهن»، دليل على أن أكثرهم اشتغل على المفهوم- لا شك في ذلك-، ولكنه اشتغال لم يرُقَ إلى مستوى التفطن لِمَا ينطوي عليه المفهوم من وضع إشكالي، لم يزده التناول الانفعالي غير تركيب وتعقيد، ولا هو اهتدى إلى الاضطلاع بعدة نقدية تفحص وجه الحاجة إلى المفهوم وتهيئ له من التقبل بما يفي بغرضه ومطالبه المشروعة؛ وأمارة ذلك واضحة، اليوم، غاية الوضوح؛ ونحن نقرأ دلالاتها من خلال ما نصوغه بهذه الاستفهامات القلقة:

-1 لِمَ ظلَّ خطاب الحداثيين غارقا في الأدبيات السجالية التي سيطرت على توجهه وخططه، منذ بداية أمره؟

-2 ما حصيلة هذا الخطاب المعرفية ومكاسبه الفلسفية على مدار عقود طويلة من المنافحة على أطروحاته؟ ولمَّا كنا نعلم أن وجاهة أية حركة فلسفية أو متانة أطاريحها إنما هي مردودة، في الأغلب الأعم- وبنسبة عالية-، إلى اعتياص الموضع الذي تَنْبُتُ أو تُسْتَنْبت فيه؛ أي أن خطورة الدعوة إلى أمر ما إنما تستأهل الغاية من قيمتها، متى افتَكَّتْ لنفسها موطئ قدم مستقر في بيئة تتعاظم فيها أسباب المناهضة لأفكارها وقيمها تلك، فتكون قوة المناهضة ذاتها عنوانا على قوة الدعوة وخطورة أطروحاتها الفلسفية؛ فإنه قد يحق لنا أن نتساءل عن قوة الخطاب الحداثي وجدية خطته في التصدي لخصومه!

-3 ولم يكن تساؤلنا السابق غير تمهيد متحير لواقعة فريدة هي، في ذاتها، استشكال مبدئي لدعوى الحداثة، والغاية من الدعوة إليها: لِمَ انحصر جهد الحداثيين في مجرد التبشير بالحداثة، حتى أوشكت الحداثة أن تُخْتزل، في بنية الخطاب العربي الحداثي المعاصر، إلى الدعوة إلى الحداثة واعتناق أطروحاتها وآلياتها2، كما لو أنها لا تزيد عن كونها مذهبا فلسفيا أو تيارا فكريا أو حركة إيديولوجية مبتدَعة؟

ويضاف إلى هذه الاستفهامات الثلاثة، ما طرأ في ساحة الفكر العربي من نجوم منافس عنيد للحداثة، ولعله أن يكون أشدَّ وطأة عليها من خصمها الكلاسيكي، وهو فكر ما بعد الحداثة، الذي بدا فُشُوُّه في الخطاب العربي الراهن مستصحبا لحركة نقدية رافضة لا لمنجز الحداثة ولإشكالياتها فحسب، بل لِمَآلات مفاهيمها وإغراقها في نزعة تمجيد العقل والبناء على أحكامه في كل ما يتصل بكينونة الذات العربية، فظهرت معها وكأنها قد استهلكت ذاتها وأشرفت على منتهى إمكانياتها؛ فوقع ثمة ضرب من الردَّة على مفاهيمها من داخلها، حين عاد الفكر العقلاني الحريص على مسار العقلنة، على إثرها، ليغرف من معين مناطق، كانت- في عُرْف الحداثة- وإلى عهد قريب، مناطق اللامعقول المريبة.

ما الذي ينبئ به دخول تيار ما بعد الحداثة على خط مواجهة صريحة تحاكم مبادئ فلسفة الحداثة وتعلن ضرورة تجاوزها؟ وما منزلة هذه البعدية من المفهوم الذي يعنينا؟ هل الحداثة بناء على هذا الفهم حقبة زمنية، أو فترة الزمن الراهن، بكل ما تحمله من مكاسب ومنجزات؟ فَلِمَ لا تكون المزامنة، إذن، مشارَكة في المعاصرة وانخراطا مسؤولا في أمهات مشاغلها الفكرية، فليس وجودنا «في» هذا الزمان، بمجرده، دليلا على كوننا معاصرين أو من أهل العصر؛ بل إننا لو راعينا ما بيننا وبين صناع الحداثة المعاصرين من الفوارق الزمنية والفكرية، لكانت التسمية المطابقة لحقيقة وضعنا بالقياس إلى وضعهم، هي تسمية «أهل الكهف».

أفتكون الحداثة نمطا فكريا أو لونا فلسفيا مستحدثا، لم يسبق لتاريخ الفكر الإنساني أن عرف مثيلا له في سابق عهده؟ ولكن أليس من الحق أن يُقال إن في كل تفلسف- بصرف النظر عن لونه ووجهته- ضربا من الحداثة، وإن استقل كل واحد منهما بمرجعيته ومطالبه، بجامع كونهما نمطا من التفكير وطريقا في النظر إلى حقائق الكون ومنزلة الإنسان منها؟

ألا يكون أكثر قربا من طبيعة الحداثة أن يُقال بشأنها إنها ليست شيئا آخر سوى قيمة وجودية أو أفق فكري مفتوح على مشكلات الإنسان، بحيث لا قِبَل له بمعالجتها من دون تمثل مداراته الأساسية والتحقق بمقاصدها، في النظر أو في العمل؛ وما هذه المدارات غير مرتكزات الحداثة الفلسفية، من عقل ونقد وحرية؛ وغايتها أن يستقر لدى المفكر، اليوم، أن الفلسفة خطاب نقدي أو لا تكون. وليس من شك في أن إنشاء فلسفة عربية معاصرة أنوارية هو حلم راود كل المتفلسفة العرب، بغير استثناء، لِمَا تعنيه الأنوار من تلك الحالة الفكرية التي لا يُتَصَوَّر انقطاع طلبها للتجدد، فيكون التجدد سمة ذاتية وعنوانا على حياة فاعلة في زمنها، ومنفعلة بحدود منزلتها التاريخية؛ ومن ثمة فالخطاب الفلسفي الحداثي حقا، شأن كل حيٍّ يطلب الفعل ويقصد إلى الاستقواء به على نوازل الحياة، هو خطاب لا ينفك عن محاورة زمنه، وهو إرادة استكمال لا توَقُّفَ لفعلها ومفاعيلها.

وهكذا، فالحداثة بهذا النحو المقتضب من التوصيف حركة لا قرار لها، ولمَّا كان ارتباط فلسفة الحداثة بفكر الأنوار غير خفيٍّ، فقد صار بإمكاننا أن نستشف، لما بينهما من رابطة رَحِم متينة، أخص خصائص الحداثة جوهرية وأكثرها تكشيفا لمسارها، وذلك هو كونها- لدائم اشتغالها على مفاهيمها- مشروعا فكريا غير مكتمل، في معنى أنه لا يُتصوَّرُ اكتماله البتة؛ وعلى هذا يجوز لنا أن نقول إن الحداثة هي فلسفة استكمال لا يكتمل، متى كان معنى الكمال هو بلوغ الحد؛ وما كمُل شيء إلا كان ذلك إيذانا ببداية التقهقر والأفول أو النكوص، فإذا كانت مزاعم ما بعد الحداثة تتناول الحداثة من جهة عدم بلوغها لحظة الاكتمال مما كانت قد أعلنت عنه لدى ابتداء عهدها، فليس مما يسوغ الخروج عليها ومناهضة مبادئها شبهةُ القصور عن إدراك هذه الغاية، ما دام استئناف مشروع الأنوار- وهو صلب فكر الحداثة- قائما في نواة مشروعها؛ وأما التغافل عن تصحيح آليات هذا الاستئناف والاحتجاج بتفاوت ما بين النظر والعمل، فهو من سخيف التهم التي تتعامى عن منطق الأفكار وسيرورتها التاريخية الفعلية.

فإذا استقرَّ معنا الآن أنْ ليست الحداثة شيئا آخر غير ذلك الاجتهاد المتصل في التحقق بمعاني الاستقلال الفكري والانخلاع عن ربقة التقاليد، والارتفاع إلى مقام الاضطلاع بمسؤولية الوجود الإنساني، كما تتمثلها الذات من حيث هي ناظرة في صيرورتها، وإلى مقومات كيانها، اعتبارا بالمقولة الكانطية الرائدة: فكِّر لذاتك!3 فلا شك في أننا قد نصاب بضرب من خيبة المسعى مما اندفع إليه الحداثيون عندنا من مجافاة هذا المعنى، في تعاطيهم مع مسألة الحداثة، سواء في فهم حقيقتها أو فيما سلكوه من طرائق في الدعوة إليها.

يقول المفكر التونسي عبد المجيد الشرفي، وهو أحد الحداثيين المبرزين وأوفقهم عبارة، بعد توصيف ذكي للوضعية التاريخية لمسلمي اليوم، ولِما يلزم- بحسبه- للخروج من ورطة التخلف التي يتردى فيها العالم الإسلامي: «إننا نعني بالحداثة ذلك النمط الحضاري الذي دشَّنته أوروبا وسارت فيه أشواطا، وتخلَّف عنه العرب والمسلمون، وأصبح اليوم كونيا لا خيار لأحد في الانخراط فيه، وإلا حكم على نفسه بالبقاء على هامش التاريخ»4؛ ولنقل- مع حفظ المقامات، ودون أدنى انتقاص من قيمة هذا المفكر العلمية- إننا لو رضينا بهذا التوجه الذي تمضي عبارات الشرفي في مساره، لكنا بمنزلة من يستدبر مسار الحداثة، وبحال من هو ماض إلى وجهة هي، بذاتها، الرجوع القهقرى إلى عهود ما قبل الحداثة بالذات!

كيف سوَّغ هذا المفكر لنفسه أن يندفع- على نحو انفعالي ظاهر-، فيأتي في عبارته نمطا يخالف أصول النمط الحداثي وينقض مقاصده؟ فما حقيقة هذه الكونية التي صارت صفة لازمة، تحت أقلام الحداثيين، لمفهوم الحداثة؟ وما وجه هذا الاضطرار الذي لا حرية معه في الانخراط في مسار أوروبا الحضاري الذي قطعت فيه مراحل، ما يزال أمام العرب والمسلمين، اليوم، أشواط دونها؟ أليس هذا عين ما كان يردده، منذ قرابة القرن، بعض رواد النهضة والتحديث العربيين؟ ألم يكن أبلغ هؤلاء وأمتنهم أسلوبا، طه حسين، يجاهر دون رياء أو مداراة أو تقية بأنه لا مخرج لأمة الشرق من وهدتها وتخلفها وهوانها على أمم الدنيا، ولا سبيل إلى تحريك سواكنها غير ركوبها مركب أوروبا وخوضها في عين ما خاضت فيه حضارة أوروبا، بل السير في أثرها شبرا بشبر وذراعا بذراع؟ لنقرأ بعض مقاطع من مستقبل الثقافة في مصر، لنقف على بعض مقاصد النخبة المثقفة في ذلك الإبان، وعلى خطتها في النهوض بمشروع الحداثة. يقول طه حسين: «[...] إننا في هذا العصر الحديث نريد أن نتصل بأوربا اتصالا يزداد قوة يوما بعد يوم، **حتى نصبح جزءا منها لفظا ومعنى وحقيقة وشكلا**»5؛ «[...] فالتزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كله أمام أوربا»6؛ «[...] لكن السبيل إلى ذلك [تحقيق النهضة المأمولة للأمة المصرية] ليست في الكلام يرسل إرسالا، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة، وإنما هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي واحدة فذَّة ليس لها تعدد، وهي: أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يُحَبُّ منها وما يُكره، وما يُحمَد منها وما يُعاب»7.

إن هاهنا، لا شك في الأمر، وعيا عميقا حادا بمشكل حضاري متجذر، وبراهن عربي بلغ من الهزال والهوان مبلغه، ولكن هاهنا أيضا، وفي الوقت ذاته، هروب من احتمال المسؤولية والنهوض بأعبائها ومطالبها، وإلا فما معنى أن يكون الحل الأوحد هو الالتزام بمذهب أوروبا وسيرتها، إلى حد الذوبان فيها، ولا مبالاة بعدها، أخير هذا الأمر أم شر، ما دام الغرض هو أن نصبح لأوروبا شركاء في الحضارة! ولو أننا نعلم صدق طه حسين في دعواه هذه، لكنا عددنا كلامه هذا من قبيل الهزء والسخرية، إذ كيف يعقل من مفكر مثله الاعتقاد بأن طريق المشاركة في الحضارة إنما هو اتِّبَاع أوروبا في كل أحوالها ومظاهرها؟ ولكنه أحد مفاعيل الدهشة الحداثية في أقوى مظاهرها. هذا، مع أنه سبق أن ذكر في فاتحة أحاديثه من هذا الكتاب أنه يريد «كما يريد كل مصري مثقف، يحب وطنه، ويحرص على كرامته، وحسن رأي الناس فيه، أن تكون حياتنا الحديثة ملائمة لمجدنا القديم، [...] وأريد كما يريد كل مصري مثقف، محب لوطنه، حريص على كرامته، ألاَّ نلقى الأوربي فنشعر بأن بيننا وبينه من الفروق ما يبيح له الاستعلاء والاستخفاف بنا، وما يضطرنا إلى أن نزدري أنفسنا، ونعترف بأنه لا يظلمنا فيما يظهر من الاستطالة والاستعلاء»8. أجل، هو حلم سعيد لذيذ أن يقف الشرقي، بعد طول المرض وكثرة الإرهاق، في مواجهة الغربي الأوروبي وقوف الند لنده دونما عقدة أو شعور مرير بالدونية، ولكن قيام الحضارات وتدافعها وتباريها في مضامير الريادة والسيادة لا يكون، للأسف، بمجرد التمني، ولا هو متحقق بطريق الأولى بالسير خلف من سبق، فإن سنن التاريخ واضحة وأحكامها جارية على أمم العالم دون تمييز أو تخلف، وما علمنا أن أمة تقدمت غيرها أو بزَّتها فيما تتنافس فيه الأمم والحضارات، دون أن تحط عن أعناقها أغلال التبعية، ودون أن تأخذ لذاتها من أسباب القيام ما يحفظ استقلالها ويصون كرامتها، ولو كانت أسبابها تناهض أسباب غيرها أو تناوئها، فإنما مدار المسألة هو أن تبتدر الأمة، من تلقاء ذاتها، إلى إدارة شأنها وتدبر أحوالها، على مقتضى حفظ هويتها وترسيخ الاعتزاز بتفردها وامتيازها.

وهل مما يحفظ للأمة هويتها، ويصون لأفرادها كرامتهم، أن تقتفي أثر أمة غالبة رائدة، فتجتهد- بحسب ما تبقى لها من عزم الجهد والإرادة- في التلبس بأحوال الأمة الغالبة والتقلب في أطوارها؟

إن نصوص الرواد الأوائل، وإن سلِمَت من المطعن في نيات أصحابها، هي تنطوي على مفارقة صبيانية مكشوفة؛ وهي المفارقة التي ستظل ملحوظة في كل مشروع تؤطره بطانة وجدانية مانعة من البصر برهانات المشكلة ومآلاتها الحقيقية، أو تغذيه نزعة رد الفعل التي تصرفه عن تقدير آليات الاشتغال على ما تفرزه المشكلة من أوضاع يتيه في تشعب مسالكها والتوائها. وأيا ما كان الأمر، فنصوص الأوائل قد كشفت عن إخفاق ذريع في تناول المسألة تناولا منهجيا مسؤولا؛ ولا أدل على هذا الإخفاق، مما أوردناه من مقاطع طه حسين؛ هو بحرص الحرص كله على صيانة كرامة الأمة المصرية، ويريدها في منزلة الأمة الأوروبية، ولكنه لا يرى سبيلا أخرى لهذا المطلوب المرغوب غير أن تذوب الأمة المصرية في حضارة أوروبا.

هوامش

1 أحسن بشاني، خطاب الحداثة في الفكر الفلسفي العربي المعاصر وإشكالية الخصوصية والعالمية، دراسة تحليلية نقدية ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الفلسفة، 2006، ص 44. [الدراسة غير منشورة بعد]

2 «إن واقعة الحداثة قد وقعت؛ وإن فلاسفة الغرب من كانط إلى هابرماس قد بلغوا من توضيح طبيعتها ومن الدفاع عن مشروعيتها كل مبلغ. وإن خطأ المثقف لدينا أنه ما يزال يجد في التبشير بالحداثة مهنته الملكية. والحال أن مهمته الحقيقة عليه والجديرة به من طبيعة مختلفة تماما»، فتحي المسكيني، الهوية والزمان، بيروت، دار الطليعة، 2002، ص 56. التشديد منا.

3 كانط، «الجواب عن سؤال ما الأنوار؟»، ترجمة فؤاد مليت ونعيمة حاج عبد الرحمن، أبيس، ع1، جوان 2005، ص 7.

4 عبد المجيد الشرفي، لبنات III. في الثقافة والمجتمع، ط1، تونس، دار الجنوب للنشر، 2011، ص 80. التشديد منا.

5 طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ط3، القاهرة، دار المعارف، 1996، ص 33. التشديد منا.

6 المرجع عينه، ص 34.

7 المرجع عينه، ص 39.

8 طه حسين، مرجع سابق ذكره، ص 16.

البصائر

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أسست في أول شوال 1354 هـ الموافق 27 ديسمبر 1935م

الإسلام ديننا. والعربية لغتنا. والجزائر وطننا.

دعـاء العـدد

- اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني .

الاثنين 27 جمادى الأولى 03 جمادى الثانية 1434 هـ/08 - 14 أفريل 2013 العدد: 647 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر: www.albassair.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org

إشكاليـة الفتـوى السياسيـة

بقلم: الأستاذ الدكتور محمد دراجي

إنّ من أعقد القضايا التي تواجه الفقيه المعاصر، هي النّوازل السياسية، ومردّ تعقيدها ومنشأ صعوبتها في القدرة على الإحاطة بدوافع وأسباب النّازلة السياسية، وتقدير النتائج المترتبة عليها من خلال مآلاتها، فالحوادث السياسية الكبرى قد تكون وقائع بسيطة أو واضحة كالإفتاء في حكم الانتخابات، ودخول البرلمانات، والتعددية الحزبية، ومشاركة المرأة في العمل السياسي، وتوليها مناصب الولاية العامّة كالوزارة، والقضاء، والحسبة،...الخ. وهذه النّوازل على أهميّتها وضرورتها في الإصلاح الاجتماعي والسياسي الشامل، والحضاري العام الذي تحتاجه الأمّة الإسلامية دوماً، لتكون أمّة الشهادة كما حدّد لها دينُها رسالتها في الحياة، ومهمّتها في الوجود، إذ تبيّن المصالح والمفاسد في هذه المسائل بسيط، وتقدير الجانب الغالب من المصالح والمفاسد في الشأن الواحد كذلك ممكن وميسور، فالشريعة كما هو مقرّر عند علمائها المحققين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، ودرء المفاسد مقدّم على جلب المصالح، والمصالح المقصودة هنا هي المصالح الحقيقية لا المتوهمة ولا الظنية، والعامة لا المصالح المرتبطة بشخص أو فئة، وأن لا يوجد في نصوص الشرع وقواعده الكلية، ومقاصده العامّة ما يشهد لها بالاعتبار أو الإلغاء، فكل ما جلب المصلحة، وحقق العدل، وحقق الرحمة للأمّة، ونشر الخير في أوساط المسلمين، فهو من الدّين، والإسلام حريص عليه ويحث أتباعه على الأخذ به، والاستفادة منه، ومع ذلك وجد في علماء المسلمين ومشايخهم من حارب هذه الأفكار السياسية أن تدخل إلى دنيا المسلمين، وأن يتبنوها ويعملوا بها في تنظيماتهم السياسية بدعوى أنها أفكار جادت بها قرائح الكفار، والإسلام نظام متكامل مستغن عنها وعن غيرها من الأفكار البشرية، وليس هذا مجال مناقشة هذا التوجه الفكري، وبيان بواعثه، إذا كانت علمية أم سياسية، ونيات أصحابه الداعين إليه إذا كانوا مستقلين في آرائهم وأفكارهم هذه، أم هم مرتبطون بأنظمة سياسية يروّجون لها ويعملون على استقرارها ولو على حساب الشعوب، بل ولو على حساب الدّين نفسه وقيمه، والعلم وأمانته.

ولكن النّازلة التي دوّخت الفقهاء، وتركت الحليم حيراناً، وانقسموا فيها إلى فئتين متنابذتين، تتراشقان التهم وتتبادلان الانتقادات، هي ما اصطلح عليه إعلامياً «بثورات الربيع العربي»، فهبة الشعوب وانتفاضتها ضد حكامها المستبدين، وعملها الجاد، وسعيها الدؤوب لتحقيق حريتها، والوصول إلى برّ الديمقراطية، وتصبح بإمكانها أن تختار من يحكمها، بحيث يصبح الحاكم يُختار بالاختيار الطوعي من قبل أغلبية الشعب، وتكون السياسة التي يتبعها هذا الحاكم تعبيراً عن تطلعات الجماهير وترجمة لآمالها وآلامها، هذا كلّه أمر مرغّب فيه، شريطة أن تكون التحركات نابعة من أعماق الجماهير، نتيجة اقتناع بالتغيير وضرورته، واستعداداً لتقديم التضحيات تلو التضحيات من أجل إنجاح هذا المشروع، ومن الطبيعي أن يكون الفقهاء في صفّ الشعوب وهي تقاوم استبداد حكّامها وفرعنتهم، وأن يعتبروا هذا لوناً من ألوان الجهاد، بل من أفضل أنواع الجهاد، ولكن المحاذير هنا جمّة، ولابدّ من أخذها بعين الاعتبار، وأن أي إغفال لها يورد المهالك، وأخطر هذه المحاذير هو الاحتواء والتوظيف، فقوى الاستكبار العالمي، قد رسمت سياسات جديدة للمنطقة، قائمة على تقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة، على أساس عرقي، أو مذهبي، فدولة للأكراد، ودولة للشيعة، ودولة للسنّة، ودولة للدروز، ودولة للعلويين، وهكذا، فكيف يستطيع قادة الثورات في العالم العربي، أن ينأوا بأنفسهم عن هذا المستنقع، وألا يكونوا أدوات لتخريب المنطقة وإضعافها أمام إسرائيل، وما هي الضمانات التي يستطيعون تقديمها على أنّ المساعدات التي يتلقونها ليست مشروطة بالتطبيع مع إسرائيل فيما بعد، لأنه من المعلوم أن الغرب -الداعم الرئيسي لثورات الربيع العربي- ليس جمعيات خيرية، وعليه فالفقهاء الذين يتخندقون مع الثورات وينظرون لها، عليهم تقديم إجابات شافية على هذه التساؤلات التي لابد من أخذها بعين الاعتبار في بناء الرأي الفقهي، وإصدار الفتاوى السياسية، الداعية للشعوب للانخراط في الثورات.

وبالمقابل فإن الفقهاء الذين تخندقوا مع «الدولة الوطنية» أو مع «الوطن» بحجة أن هذه الثورات مجرد مؤامرات عالمية تستهدف إضعاف «الدولة الوطنية»، وإدخال المنطقة في دوامة الفوضى، عليهم ألا يستثمروا في المحاذير التي تكلمنا عليها سابقا وألّا يضخموها، وألّا يجتروا فتاوى تراثية حول منع الخروج على الحاكم الظالم الجائر، فهذا لا يحل المشكلة بل عليهم أن يواجهوا الحكام المستبدين، بظلمهم وتجاوزاتهم، وتعسفهم، وعليهم أن يرفعوا الصوت عاليا لهؤلاء الحكام بالتأكيد على قيم العدل والشورى، وحقوق الإنسان، وضرورة الكف عن سياسة تكميم الأفواه، ومصادرة الحريات، والاعتقاد بأنّ الأوطان عبارة عن ملكيات خاصة يتصرّف فيها الحكام كما يشاءون، وأن يلحوا على وجوب الانخراط في مشروع إصلاحي سياسي اقتصادي شامل يستوعب كل شرائح المجتمع، فهذا وحده هو الذي يقطع شرارة اندلاع الثورات... والذي يبقى التكييف الفقهي لها من أعظم المعضلات، وأكبر التحديات التي تواجه الفقيه المعاصر.

علمتني التجارب

كبـــــوة وعـــــبرة

الدكتور عبد الحليم قابة

علمتني التجارب أنّ من حِكم الله عزّ وجلّ في قيُّوميته على خلقه وتصرّفه المطلق في الكون، أنْ لا يدَع إنسانًا يسير في الناس سيرة الأنبياء المعصومين من البشر الكُمَّل المستقيمين، من أوّل حياته إلى نهايتها دون أن يوقعه في هِناتٍ وسقطاتٍ تكبر وتصغر حسب حكمة الحكيم وعلم السميع العليم، وذلك ليبتليه ويبتلَي به، فيهتدي به مهتدون، ويهلك به هالكون.

ويؤكد لك هذا المعنى خلق الله للإنسان ضعيفًا ثم يعطيه بعد الضعف قوّة ثم يرجعه بعد القوّة إلى الضعف، والضعف يطال الأجساد والمدارك، كما يؤثر في المشاعر والموازين، فيوقع مصابَه في مخالفة ما كان عليه زمن قوّته، ونسيان ما كان يذكره وقت شبابه، وإبطال ما كان ينافح عنه أيام عطائه، ولعلّ هذا المحذور هو الذي يفسِّر ما أُثِر من الاستعاذة بالله من أن يُردّ المرءُ إلى أرذل العمر، وهو ما يُجلي حكمة الدعاء المأثور «إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون» وهو -والله أعلم- من أكبر مبررات كثرة دعاء النّبي صلّى الله عليه وسلّم بالثبات وحسن العاقبة.

ولأننا -في هذا الظرف العصيب- اختلط علينا وجه الصواب في أحداث واقعنا الأليم، واحتار الحليم فيما يقول ويفعل، فلا مناص من الإكثار من الدعاء القرآني {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} وفي الدعاء النووي «اهدني لما اختلِف فيه من الحق بإذنك إنّك تَهدي من تشاء إلى صراط مستقيم» ثم يصدع بما يراه صوابًا، ولا يهمه -بعد ذلك- رضى الناس وسخط الناس، ولكن دون مخالفة لنهج الحكمة ومسلك الاستقامة، والله الهادي.

كلمة حق

بقلم: الأستاذ الدكتور عمار طالبي *

أية مدينة وأية عاصمة؟

إنها مدينة المدن، وعاصمة العواصم، كل عاصمة إسلامية بعدها إنما هي بنتها، وعنها نشأت، إنها أول عاصمة ثقافية إسلامية شع نورها على ما عداها من مدن إسلامية، إنها أم المدن وأصلها، وما أصلها إلا إشراقة النبوة، نبوة أكرم الخلق محمد، عليه صلاة الله وسلامه، نبوة غرست فيها أصول القيم، وأمهات الفضائل، وحلقات العلم والثقافة، لم تعد تسمى يثرب وإنما هي المدينة المنورة، أضاءتها النبوة، فاستضاءت بنورها أرجاء سائر المدن.

إذا كان الحكماء وعظماء الفلاسفة نسجوا بأخيلتهم ما يسمى بالمدينة الفاضلة، فلم تر الوجود على نحو ما تخيلوها وتصوروها في الازدهار ولم يكن لها أن تقع في الأعيان، فإن هذه المدينة النبوية مدينة فاضلة شهدها الواقع، وعلت وسمت بقيمها ورجالها في التاريخ، وكيف لا وقد أعلى شأنها نبي وصفه القرآن بأنه على خلق عظيم، جاء لإتمام مكارمها وما إتمام مكارمها إلا أن تصبح واقعا حيا مشاهدا.

سماها ابن رشد حقا بالمدينة الفاضلة، زينها الصحابة والراشدون من الخلفاء، بالصالحات من الأعمال، والشامخات من جلائل القيم الثقافية، وبالحكم الراشد، والاستقامة الفائقة، وإذا كان خلق النبي محمد هو القرآن في مسلك حياته، فإن هذه المدينة قد سرى في أرجائها هذا المنهج الخلقي، وهذا النور القرآني فاستفاءت به أجنائها، فكرم فيها الإنسان، وطاب بها المقام وأنا أعجب كيف لم تجعلها المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم والتربية أول ما يفتتح به مسلسل عواصم الثقافة من المدن!

إنها لجديرة أن تكون فاتحة الاحتفال بهذه العواصم وبدايتها.

ففي يوم الثلاثاء30/04/1434هـ الموافق لـ: 30/03/2013 تم حفل الافتتاح البهيج بخيمة عالية الجمال بجوار مسجد قباء، حضره سمو ولي العهد الأمير سلمان بن عبد العزيز، وكبار علماء الأمة وأصحاب السلطة من وزراء الثقافة في البلاد العربية، فكان ذلك الاحتفال مشهدا رائعا يليق بعظمة هذه المدينة وتاريخها، وأعد لها برنامج حافل ينجز طوال هذه السنة، فأكرم به من احتفال، وأعظم بها من جميل الفعاليات، والمناشط التي تزدان بها هذه المدينة المعظمة.

لقيت هذه الوفود الوافدة والضيوف القادمة كل إكرام وإعزاز، ووجدت أفضل ترحاب ولطيف الضيافة، وكيف لا وقد عرف أهل هذه المدينة بالرقة واللطف في المعاملة، ولين الجانب يستريح إليه الإنسان ويطمئن، إنها لمكرمات للثقافة والمثقفين، والعلم والعلماء، لم نشعر بتعب ولا نصب بل تمنينا أن تدوم رحلتنا هذه إلى المدينة عاما بطوله، بجوار خاتم الأنبياء، مستمتعين بما نجده من راحة في النفوس وطمأنينة في القلوب في رحاب المسجد النبوي وفي هذه المدينة الفاضلة الكريمة العزيزة إلا أننا ختمناها بعمرة نظمها لنا إخواننا الكرام فكانت خير خاتمة.

وكانت مناسبة طيبة أن التقينا بإخواننا الذين غابوا عنا مدة طويلة فجددنا العهود، وعادت إلى أذهاننا الذكريات، حلوها ومرها.

وعند زيارتنا لمجمع فهد لطبع المصحف الكريم سألت الأخ المشرف على المجمع على ترجمة القرآن الكريم إلى الأمازيغية، فأخبرني أنه مطبوع جاهز، وأعلمته أن هذا المترجم من تلاميذي ومن المجيدين لحفظ القرآن، وقد بذل جهدا معتبرا لنقل معاني القرآن العظيم إلى اللسان الأمازيغي، وهو من أهل هذا اللسان العارفين به أحسن معرفة، حفظه الله، ومن ميراث هذه الترجمة أنها كتبت بالحروف العربية، وهذه ميزة طيبة لأن الأمازيغ في هذه البلاد وغيرها كانوا يكتبون بالحروف العربية إلى أن جاء الاستعمار فقلب الوضع، وبهذا عادت المياه إلى مجاريها، وأول من نسخ الشعر الأمازيغي بالحروف العربية في أوائل القرن الماضي فيما أعلم صهرنا الحاج محمد جراين الذي كتب بعض شعر والده الحاج سعيد رحمه الله بالحروف العربية، فرحم الله الحاج محمد بما فعله وسنه من جديد، وحفظ أخانا الحاج الطيب بما ترجم من كلام الله عز وجل.